

ووالداه الكريمان



الدكتور محمد عبده يماني

المنار للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

نبيُّنا الهادي ﷺ بنصِّ القرآن الكريم نور.

(قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبين)

وسيرته ﷺ صحائف من نور.

ونحن حين نتحدث عن والديه ﷺ

فإنما نتحدث عن اصطفاءٍ واختيارٍ تمّ بقدر الله لمستقر ذلك النور

الذي ظل ينتقل من الأصلاب الطاهرات إلى الأرحام الزاكيات.

حتى وصل إلى عبد الله وآمنة.

* * * *

وحين أراد الله لهذا النور أن يظهر للوجود.

كانت حادثة الفداء للذبيح عبد الله بأمر الله وتدبير الله.

وكان ذلك الحدث مدخلاً لالتقاء فرعي الدوحة القرشية

بني زهرة وبني عبد مناف سدنة البيت الحرام وجيرانه.

بخطبة آمنة بنت وهب الزهرية لعبد الله بن عبد المطلب.

ليتحقق موعود الله باصطفاء عبد الله بن عبد المطلب وآمنة بنت وهب

قراراً لخير نسمة برأها الله في الوجود.

ولينالا شرف أكرم أبوةٍ وأطهر أمومةٍ لخير مولودٍ عرفته الحياة ﷺ.


وتقلبك في الساجدين





د. محمد عبده يماني

المرء مع من أحب
اللهم أسكنه فسيح جناتك
مع حبيبك سيدنا محمد
صلى الله عليه و سلم

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

منار للنشر والتوزيع

دمشق هاتف: ٩٢٢٤٩٩٠ فاكس: ٢١١٤١٦٨ ص ب ١٣٢٧٧ E:mail : manarest@mail.sy

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ



﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾

نبيّنا الهادي ﷺ بنصِّ القرآنِ الكريمِ نور .

(قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ)

وسيرتُه ﷺ صحائفُ مِن نور .

ونحنُ حينَ نتحدّثُ عن والديه ﷺ

فإنّما نتحدّثُ عن اصطفاءٍ واختيارٍ تمّ بقدرِ الله لمستقرِّ ذلكَ النّور

الذي ظلّ يتنقّلُ مِنَ الأصلابِ الطّاهراتِ إلى الأرحامِ الزّاكيات .

حتّى وصلَ إلى عبدِ الله وآمنة .

❊ ❊ ❊ ❊

وحينَ أرادَ اللهُ لهذا النّورِ أن يظهرَ للوجود .

كانت حادثةُ الفداءِ للذّبيحِ عبدِ الله بأمرِ الله وتدبيرِ الله .

وكانَ ذلكَ الحدثُ مدخلاً لالتقاءِ فرعي الدّوحةِ القرشيّة

بني زهرة وبني عبدِ مناف سدنةِ البيتِ الحرامِ وجيرانه .

بخطبةِ آمنةَ بنت وهبٍ الزّهريّة لعبدِ الله بن عبدِ المطّلب .

ليتحقّقَ موعودُ اللهِ باصطفاءِ عبدِ الله بنِ عبدِ المطّلبِ وآمنةَ بنتِ وهب

قراراً لخيرِ نسمةٍ برأها اللهُ في الوجود .

وليَنالا شرفَ أكرمِ أبوّةٍ وأطهرِ أمومةٍ لخيرِ مولودٍ عرفته الحياة ﷺ .

❊ ❊ ❊ ❊

واستقر ذلك النور في رحم آمنة بنت وهب
فكانت آمنة من كل سوء وشر وبلاء
وكانت أم النور الهادي الساطع على مر الدهور
وإذا كان الثرى الذي يضم جسد رسول الله ﷺ في قبره أفضل من كل بقاع الأرض
فكيف بالرحم الذي ضم هذا النور ... ؟
والصلب الذي خرج منه هذا النور ... ؟
صلب عبد الله بن عبد المطلب

* * * *

وقد أخبرنا ﷺ عن طهارة آبائه وأمهاته حيث قال:

«لم أزلْ أتنقل من الأصلابِ الطاهرات إلى الأرحامِ الزاكيات حتى وُلدتُ من آمنة وعبد الله»

وقال تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾

فنوره ﷺ ظل يتنقل من صلب طاهر إلى رحم زكي حتى وصل إلى عبد الله وآمنة وفي هذا بيان لكل ذي بصيرة، أن الله اختار لحبيبه ﷺ أشرف الآباء وأطهر الأمهات.

فأشرف الآباء آباؤه، وأطهر الأمهات أمهاته، من لدن آدم وحواء إلى عبد الله وآمنة لم يدنسوا بشرك ولا زنا ولا سفاح.

بل اختار له أفضل العشائر، وأكرم القبائل، وأشهر الفصائل، فأفضل العشائر عشيرته، وأكرم القبائل قبيلته، وأشهر الفصائل فصيلته، وذلك شأن الأنبياء والمرسلين يبعثون في أنساب قومهم،

كما ورد في حوار هرقل مع أبي سفيان الذي روته الأحاديث الصحاح.

وقد قال ﷺ: **«إن الله اصطفى كِنانَة من ولد إسماعيل، واصطفى قُريشًا من كِنانَة، واصطفى من قُريش بني هَاشم واصطفاني من بني هاشم[١]، فأنا خِيارٌ من خِيارٍ من خِيار»**[٢].

وقال ﷺ: **«خرجتُ من نِكاح ولَم أخرُج من سِفاح[٣] من لَدُن آدم إلى أنْ وَلَدَني أبي وأمي، لم يُصِبْني من سِفاح الجَاهلية شيء»**، وقال ﷺ: **«إن الله خَلَقَ الخَلْقَ فجَعَلني من خَيرهم، من خَيرِ قَرنهِم، ثم تَخَيَّرَ القَبائل فجَعلني في خَيرِ قَبيلةٍ، ثم تَخَيَّرَ البُيوتَ فجعَلَني في خَيرِ بُيوتِهم، فأنا خَيرُهُم نَفْساً وخَيرُهُم بيتاً»**[٤].

وروى ابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ:

«ما وَلَدَتْني بَغِيّ قَطْ منذ خَرجتُ من صُلْبِ آدَم، ولم تُنازِعْني الأمم كَابراً عن كَابِر حتى خَرجْتُ مِن أفْضَلِ حَيَّيْنِ من العَرَب: هَاشم وزُهْرَة»[٥].

---

(١) مسلم ٤/١٧٨٤

(٢) البخاري ومسلم . الترمذي ٦/٣٦ . وأحمد ٤/١٧

(٣) البداية والنهاية . ابن جرير في ا لتفسير ١١/٥٦. البيهقي في السنن٧/١٩٠. ابن سعد ١/١/٣٢

(٤) الترمذي عن ابن عباس وأحمد ١/٢٠١

(٥) السبل١/٢٧٧ . الدرر المنثور ٣/٢٩٥. كنز العمال ٣٢٠١٩

وعنه ﷺ أنه قال: «**ما تشعبت شعبتان إلا كنت في خيرهما**»، ونحن إذ نتكلم عن والديه ﷺ، إنما نعرض جزءاً من بيان هذه الخيرية، وذلك الاصطفاء، تصديقاً لخبر الله على لسان رسوله الذي لا ينطق عن الهوى.

ونريد أن يعلم الشباب والناشئة على وجه الخصوص طرفًا من تكريم الله لنبيهم، وصوراً من تعظيم الله له على مر الدهور، وألا يسمعوا لمن يؤذون رسول الله ﷺ في أهله وأرومته، ليلتزموا بما أمرنا به القرآن. من توقير رسوله وتعزيره والإيمان به صفيًا مكملاً ونبياً مرسلاً وشريفاً موقرًا، وفريداً مطهراً:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

وقد جاءت الآيات الكريمة موجهةً للمؤمنين ومعلمةً إياهم أدب التعامل مع مقام رسول الله ﷺ.

﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾

﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾

فكل تكريم لرسول الله ﷺ يعدُّ من الإيمان، وكل أدب معه، وكل ثناء على أصله وأزواجه وذريته وأصحابه، يعدُّ من القربات ومن الحسنات وأفضل الطاعات: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾.

وأتمنى على علمائنا الأجلاء أن يبينوا لشباب هذه الأمة واقع الاصطفاء وحقيقة الاجتباء، حباً لله ورسوله وأدباً مع من جعل الله اتباعه دليلاً على صدق محبة العبد لمولاه سبحانه وتعالى وسبيلاً للفوز بمحبته ومغفرته ورضاه.

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾.

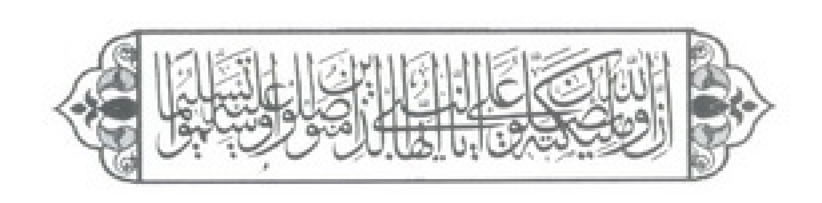
وأن هذا الاتباع لا يمكن أن يؤتي ثماره في نفس صاحبه ما لم يكن مبنياً على محبته ﷺ وتوقيره وتعظيمه وإدراك كماله البشري.

«فلا إيمان يقيناً لمن لم يكن محمد ﷺ أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه، وأحب إليه من ولده ووالديه والناس أجمعين، ولا إيمان يقيناً لمن لم يكن هواه تبعاً لما جاء به من الهُدَى والعلم، ولن يغني في قبول الإيمان اتِّباع مع جفْوة، أولئك يمرقون من الدين كما يَمْرق السهم من الرميَّة، ولن يفارق الإيمان صدق المحبة، فالاتِّباع المرضي عنواناً لمحبة الله هو الاتباع النابع من المحبة لنبيه ﷺ، ومن هنا كانت طاعتُه طاعتَه، وهديُه هديَه، ورضاه رضاه، وبيعتُه بيعتَه، وصراطُه صراطَه، خلع عليه حلل فيضه، وألبسه خِلَع رأفته ورحمته، فكان الرؤوف الرحيم بالمؤمنين، وكان المرسل رحمة للعالمين، وخصه بالصلاة عليه، ومنح ملائكته – تشريفاً – هذا الفضل بين

يديه، وأمر عباده المؤمنين أن يتخلّقوا بخلقه الأعلى في سبحات الصلاة عليه، وجعل سلامهم عليه وصلة أرواحهم وصائل روحه، لينعموا بجنات ردّه تسليمهم عليه، ولن يشقى من حظي من حبيب الله بردّ السلام عليه.

فصلوات الله، وصلوات الملأ الأعلى، وصلوات المؤمنين في عالم الغيب والشهادة أينما حلّ الزمان بهم في مكان من الوجود على محمد المجتبى من أشرف أرومة، رسولاً لخير أمة كانت به بؤرة شمس الإنسانية ومشرق إشعاع الهداية الربانيَّة، والسلام الأكمل الأنضر ورحمة الله وبركاته عليه ما ذكر الله الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون»[١].

❊ ❊ ❊ ❊



(١) محمد رسول الله ﷺ - محمد الصادق عرجون - (١/١٧-١٨)




إنها آمنة

سليلة أسرة قرشية كريمة..

ولدت في مكة، في جوار البيت العتيق في أم القرى بكل ما يعرف لهذه البلدة من حرمات عريقة، ولأب كريم وجد عظيم، وفي بيئة تعرف ماله من حسب ونسب وأرومة، ومن سيدة هي من أفاضل قريش نسباً وموضعاً.

أبوها.. وهب بن عبد مناف سيد بني زهرة بن كلاب (حكيم) يجتمع نسبها مع النبي في كلاب، فاسم أبي النبي عبد الله بن هاشم ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب، وجدها عبد مناف يقرن اسمه بابن عمه عبد مناف بن قصي جد النبي ﷺ، فيقال: المنافان، تعظيماً وتكريماً.

وأمها.. برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب، وجدتها لأمها أم حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قصي، ووالدة أم حبيب هي برة بنت عوف، يصل نسبها إلى لؤي بن غالب ابن فهر.

فآمنة من ناحية أمها ومن ناحية أبيها من سلالة طيبة طاهرة وأصل كريم، ونسب يعتز به، وفي هذا يقول ﷺ: «لم يَزَلِ الله يَنقُلُني مِنَ الأصلابِ الطَّيبةِ إلى الأرحامِ الطَّاهِرَةِ مُهذَّباً، لاتَتَشَعَّبُ شُعبتَان إلا كنتُ في خَيرِهِما»[١].

(١) الدرر المنثور ٣/٢٩٤و ٥/٩٨.

وذكر القاضي عياض في كتاب «الشفا»، في فصل كرامة نسبه ﷺ، كما جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ فيما رواه واثلة ابن الأسقع، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الله اصطفى كِنانةَ مِنْ وَلَد إسماعيل، واصطفى قُرَيْشاً من كنانة، واصطفى من قُريشٍ بني هاشِم، واصطفاني من بني هاشِم»[1]. إنه نسب كريم، وأصل طيب طاهر.

ومن يتتبع سيرة هذه السيدة يجد أنها كانت زهرة يانعة، وسيدة في بني زهرة، وكما قال ابن إسحق: كانت يومئذ أفضل امرأة في قريش نسباً، ولم يخطبها عبد الله والد النبي ﷺ، وإنما الذي تقدم لخطبتها هو أبوه عبد المطلب بن هاشم، وهو مَنْ هو في قريش شرفاً وقيادة وريادة، وأمه فاطمة بنت عمرو المخزومية، وهي أيضاً من صميم البيت القرشي، وجدته لأبيه سلمى بنت عمرو النجارية الخزرجية، وهذه السيدة كان لها شأن عظيم، فقد كانت لاتنكح الرجال لشرفها في قومها حتى يشترطوا لها أن أمرها بيدها، فإذا كرهت رجلاً فارقته. أما جدته لأمه فهي تخمر بنت عبد قصي القرشية، وأمها سلمى بنت عامرة بنت وديع الفهري، فهذا الفتى كما جاء ذو شأن عظيم، وأصل كريم، كما جاء في جمهرة أنساب العرب: ذو نسب وأصل كذلك، وخاصة في شأن مكة وضيوف مكة وبيت الله العتيق وزمزم.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

[1] رواه مسلم: ٤/١٧٨٤، والترمذي: ٦/٣٦، وأحمد في المسند: ٤/١٧



أنا ابن العواتك والفواطم

ودعونا نبدأ الآن بالحديث عن جداته عليه الصلاة والسلام، فقد قال هذه الكلمة العطرة في معرض حديثه عن جداته، ولم يتحدث بها عليه الصلاة والسلام من باب الفخر، ولكن كتعريف لمنازل هذه الصفوة من العواتك والفواطم، وقد قالها ﷺ في معرض الاعتزاز بنعم الله عليه في نفسه وأمهاته وآبائه. جاء في الأثر أن النبي ﷺ قال: «أنا ابن العَوَاتِك من سليم»[1]، وفي مناسبة أخرى في يوم «أحد» روي أنه قال: «أنا ابنُ الفَوَاطِم».

والعواتك جمع عاتكة، والعاتكة صفة لامرأة طيبة مطيبة، كريمة مكرمة، وكان يقال: امرأة عاتكة، كصفة للمرأة المعطرة، وقيل المصفرة بالزعفران والطيب. كما يقال عن المرأة العاتكة المرأة الكريمة، وقيل: هي صفة للمرأة الطاهرة، والعاتكة هي التي شرفت وسمت حتى إنهم يصفون النخلة العاتكة، بأنها التي لا تتأبر..

وسبحان الله كيف كان يعتز ﷺ في أكثر من مناسبة فيقول: «أنا ابن العَوَاتِك»[2] قالها يوم حنين، كما قالها عليه الصلاة والسلام في

[1] ذكره صاحب فيض القدير عن سيابة بن عاصم ورمز له برمز الصحة فهو حديث صحيح، التيسير للمناوي: ١/٣٧٥

[2] المصدر السابق.

بعض المغازي: «أنا ابن العَوَاتِك»[1]، والعواتك من جداته جاء ذكرهن في حديث شريف، وقد ذكره صاحب فيض القدير عن سيابة ابن عاصم ورمز له برمز الصحة فهو حديث صحيح.

قال بعض المحدثين: كان له ثلاث جدات من سليم، كل تسمى عاتكة. وهن: عاتكة بنت هلال بن فالج ابن ذكوان أم عبد مناف، وعاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج أم هاشم، وعاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال أم وهب أبي آمنة، وبقية العواتك من غير بني سليم. ثلاث قرشيات، وأربع سلميات، واثنتان عدوانيات، وهذلية واحدة، وقحطانية، وثقفية، وقضاعية، وأسدية.

وكان يضيف عليه الصلاة والسلام: «أنا ابن العَوَاتِك من سليم»[2]، و«سليم» تفخر بهذه الولادة وقال قتيبة: كان للنبي ﷺ ثلاث جدات من سليم، اسمهن عاتكة، فكان إذا افتخر قال: «أنا ابن العواتك»[3] قلت: بلغني أن إحداهن أم عبد مناف، والأخرى أم هاشم، والثالثة جدته من قبل زهرة[4] (أي أم وهب جده لأمه).

ولعل السبب ما روى عن بعضهم أنه ﷺ مُرَّ به على نسوة ثلاث من بني سليم فأخرجن ثُدِيَّهن فوضعنها في فيه فدرَّت عليه، ورضع منهن[5].

---

(1) المصدر السابق.

(2) المصدر السابق.

(3) المصدر السابق.

(4) انظر دلائل النبوة للبيهقي ٥/١٣٦.

(5) سبل الهدى والرشاد ١/٣٧٨

وكانت قريش تعلم بنسبه الشريف، وأصله وطهارة هذا النسل، ونبل هذا الأصل، فلا تقدح فيه، ولاتغمز ولاتلمز، وإنما كان كل ما يرفضونه نزول الدين على هذا اليتيم.

والرسول ﷺ ليس بدعاً عندما يذكر آباءه وأمهاته، لأن العرب بصورة خاصة تعتز بأمومتها، وتكرم هذه الأمومة ويلفت نظر الذي يتصل عن قرب بما كتب الأقدمون عن الجزيرة حرص العرب في جاهليتهم البعيدة على كرم النسب وطهارة الأرحام ونقاء الأصول. قال حكيمهم أكثم بن صيفي: «لايفتننكم جمال النساء عن صراحة النسب فإن المناكح الكريمة مدرجة الشرف».

وقال شاعرهم:

وأوَّلُ خُبْثِ الماءِ خُبْثُ تُرابِهِ ... وأوَّلُ خُبْثِ القَومِ خُبْثُ المَناكِحِ

ونقل أبو عمرو بن العلاء - الراوية الصدوق الحجة وأحد السبعة القراء الأئمة - عن أحدهم قال: «لا أتزوج امرأة حتى أنظر إلى ولدي منها» قيل له: «كيف ذاك؟» قال: «انظر إلى أبيها وأخيها فإنها تجر بأحدهما».

وقال قائلهم لبنيه: «قد أحسنت إليكم صغاراً وكباراً وقبل أن تولدوا»، قالوا: وكيف أحسنت إلينا قبل أن نولد؟ فقال: «اخترت لكم من الأمهات من لاتسبون بها»[1].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

---

(1) تراجم سيدات بيت النبوة رضي الله عنهن، الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، ص ٢٥، دار البيان للتراث.الطبعة الأولى.



ولا شك أن النبي ﷺ بضعة أمه، فهو جزء منها. وقد ثبت أن النبي ﷺ قال عن السيدة فاطمة رضي الله عنها: «هي بَضْعَةٌ مِنّي» ففي الحديث عن ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة أن رسول الله ﷺ قال: «فاطمة بَضْعَةٌ منّي، فَمَنْ أغضبَها فقد أغضبَني»(١).

والبضعة: القطعة من الإنسان، والولد جزء من أمه وأبيه كما هو ظاهر، فالسيدة فاطمة قطعة من أبيها ﷺ وأمها خديجة رضي الله عنها، والقول بأن السيدة آمنة غير ناجية ومعذبة في النار يؤدي إلى القول بأن النبي ﷺ جزء ممن هو معذب في النار، والنبي ﷺ قطعة من أمه وأبيه، وهذا يقتضي نجاتهما لأنه جزء منهما، والقول بأنهما يعذبان يتنافى مع ذلك تنافياً يفهمه كل عاقل.

وقد أخبر النبي ﷺ أنه ومن أنجبوه مختارون جميعاً من الله: «إن الله اصطفى..» الخ وحديث: «أنا خيار من خيار من خيار...» يشير إلى ذلك.

وإذا كان ﷺ يأمرنا أن نتخير عند الزواج مؤكداً أثر الأصول في الفروع بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس»(٢)، وخيارنا قد يصيب ويخطئ، ولكن الله لم يدع الخيار لآبائه وأمهاته، بل اختارهم سبحانه بعلمه المحيط واصطفائه الأكيد، كما ثبت في أحاديث اختيار الله لأصوله واصطفائه لهم:

(١) صحيح البخاري في الفضائل رقم ٣٧١٤ .

(٢) ذكره العراقي في المغني عن حمل الأسفار في الأسفار: ٢/٤٢

«إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم فأنا خيار من خيار من خيار»(١)، فمن طعن في أي حلقة من حلقات نسبه الشريف فإنما يرد على النبي ﷺ قوله، ويطعن في اختيار الله تعالى لنبيه ﷺ آباءه وأمهاته وأجداده وجداته، ولا يصدق بإحاطة علم الله بمن يختاره والعياذ بالله، ويرد أحاديث الخيرة والاصطفاء التي رواها أهل الحديث.

وقديماً قال الشاعر:

وهل ينبت الخطى إلا وشيجه   وتغرس إلا في منابتها النخل

ولا شك أيضاً أنه ﷺ أعظم مبارك بارك الله فيه وبارك عليه وجعله مباركاً أينما كان، في ذاته وذراته..

أما ذاته وذراته الشريفة، فإنها فياضة بالبركات والخيرات، فما مست يده الشريفة طعاما ولا شرابا إلا سرت فيه البركة ولا بصق في طعام أو ماء إلا وبورك فيه.. ولا مس جسمه الشريف ﷺ ثوبٌ إلا حلت فيه البركة(٢).

فكيف لا تحل بركته صلى الله عليه وآله وسلم في أبيه الذي كان نور النبي ﷺ في وجهه، وفي أمه التى انتقل نوره إليها عندما حملت به وولدته، وأكرمها الله تعالى بأن جعله ﷺ جزءاً منها؟.

هذه هي قصة أمومة سيدنا رسول الله ﷺ، وذكره بأنه ابن العواتك والفواطم، وهذا هو جانب من نسب هذه السيدة الكريمة، والوعاء الطاهر الذي حمل هذا النور.. النبي الكريم.. والرسول العظيم ﷺ.

(١) رواه مسلم في الفضائل والترمذي في المناقب: ٥/٥٤٤ ، وكذلك أحمد في المسند ١/٢١٠

(٢) انظر كتاب الصلاة على النبي ﷺ للشيخ عبد الله سراج الدين.

ابن الذبيحين

وأخرج البخاري في المغازي عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال يوم حنين:

«أنا النبيُّ لا كَذِبْ، أنا ابنُ عبدِ المُطَّلِب»[1].

قال ابن حجر: وأما نسبته إلى عبد المطلب دون أبيه عبد الله، فكأنها لشهرة عبد المطلب بين الناس، لما رزق من نباهة الذكر، وطول العمر، بخلاف عبدالله فإنه مات شاباً، ولهذا كان كثير من العرب يدعونه ابن عبدالمطلب، كما قال ضمام بن ثعلبة لما قدم: أيكم ابن عبدالمطلب؟ وقيل: لأنه كان قد اشتهر ذلك بين الناس أنه خرج من ذرية عبدالمطلب رجل يدعو إلى الله، ويهدي الله الخلق على يديه ويكون خاتم الأنبياء، فانتسب إليه ليتذكر ذلك من كان يعرفه، وقد اشتهر ذلك بينهم، فذكره سيف بن ذي يزن لعبد المطلب قبل أن يتزوج عبدالله آمنة، وأراد النبي ﷺ تنبيه أصحابه بأنه لابد من ظهوره، وأن العاقبة له، لتقوى قلوبهم إذا عرفوا أنه ثابت غير منهزم[2].

وروي عنه أنه ﷺ قال أيضاً: «أنا ابن الذبيحين».

وذُكِر في «كشف الخفاء» حديثٌ عن معاوية بن أبي سفيان أن أعرابياً شكا جدب أرضه، وطلب المساعدة وقال: يا ابن الذبيحين

[1] صحيح البخاري في المغازي رقم ٤٣١٥.

[2] فتح الباري ٨/٣١.

فتبسم رسول الله ﷺ، ولم ينكر عليه. فقيل لمعاوية: من الذبيحان يا أمير المؤمنين؟ فقال: عبدالله وإسماعيل[1].

والذبيح الأول هو نبي الله إسماعيل بن إبراهيم على نبينا وعليهما الصلاة والسلام، ويرجح هذا القول علماء كثيرون منهم ابن تيمية، ويأتي بعشرين دليلاً على ذلك، ونلاحظ إذا استعرضنا الآيات التي ذكرت قصة ولدي سيدنا إبراهيم: «إسماعيل» و«إسحق» أن الآيات بنفسها وسياقها حكمت في القضية بأن الذبيح هو «إسماعيل» وانظر معي: فآية: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ هي في سورة الأنبياء وبعدها: ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ۝٧٠ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ۝٧١ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ۝٧٢﴾، وواضح أن هذه البشارة جاءت كما ورد في موضع آخر كانت عند مجيء الملائكة لإهلاك قوم لوط، ولم يرد فيها أي ذكر للذبح، بل جاء فيها ماينفي أن يكون الذبيح هو إسحق، لأنه بشر به ولداً يلد يعقوب، وهذا يؤكد أنه سيعيش ويتزوج ويولد له يعقوب، فأين يكون الابتلاء بالذبح وبشارة الله لاتتخلف.

أما الآيات المذكورة: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝٩٩ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠٠ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ۝١٠١ ...﴾ من سورة الصافات، فهي التي تذكر قصة الذبيح، وتؤكد أنها وقعت للغلام الحليم الذي بشر به أولاً، ولم تكن له من قبله ذرية، بدليل: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ثم تذكر الآيات بعد ذلك قصة الفداء والذبح، وأنها كانت بلاء مبيناً، ثم تذكر بعدها بشارة أخرى بغلام آخر يعيش ويولد له

[1] رواه الحاكم وابن جرير.

«يعقوب» مكافأة له ـ أي لإبراهيم عليه السلام ـ على صبره على الابتلاء بأمر الذبح، وقد وصف الغلام الأول بوصف «حليم» والثاني بوصف «عليم».

ووصف عليم كان لإسحق حسب السياق، وقد ورد مرتين الأولى: في سورة الحجر في قصة الملائكة الذاهبين لتدمير قوم لوط وذلك قبل ولادة إسماعيل بسنين كثيرة[1]، ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ (٥١) إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ (٥٢) قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ (٥٣) قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ (٥٤) قَالُوا۟ بَشَّرْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَـٰنِطِينَ (٥٥) قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ (٥٦) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ (٥٧) قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٥٨) إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٩) إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ (٦٠)﴾ والمرة الثانية في سورة الذاريات[2] في نفس السياق: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ (٢٨) فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ (٣٠) ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ (٣٣) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤) فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا

[1] الحجر / ٥١ - ٦٠

[2] الذاريات / ٢٤-٣٧

فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ (٣٦) وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ وإنما ذكرت بعد البشارة بالغلام الحليم وهو إسماعيل عليه السلام.

والجدير بالذكر أن مناسك الحج التي تؤدّى في مِنى قد شرعت بعد حادثة الذبح والفداء.

ففي تفسير القرطبي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لما أمر إبراهيم بذبح ابنه عرض له الشيطان عند جمرة العقبة، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمرة الأخرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم مضى إبراهيم بأمر الله تعالى.

فرمي الجمرات إحياء لهذه الذكرى، وذبح الدماء في وادي ثبير إحياء لهذه الذكرى، بل ذبح الأضاحي أيضاً في يوم النحر إحياء لهذه الذكرى والله أعلم.

وجاء في القصة تعرض إبليس لهاجر ولإسماعيل قبل إبراهيم عليهما السلام حيث جاء لهاجر فقال: أتدرين أين ذهب إبراهيم بابنه؟ قالت: للحطب في وادي ثبير، قال: ذهب ليذبح ابنه في وادي ثبير، ويزعم أن الله أمره فسارعت وقالت: سمعاً وطاعة لأمر ربي ومرضاة خليل الله زوجي، فتبع إسماعيل فقال له: أتدري أين يذهب أبوك؟ قال: للحطب في وادي ثبير، قال: إنه ذهب بك ليذبحك في وادي ثبير ويزعم أن الله أمره، فقال إسماعيل: سمعاً وطاعة لأمر ربي ومرضاة خليل الله أبي.

فعرض لإبراهيم قائلاً: إن المنام الذي رأيته من الشيطان وأنا ناصح لك فقال: اخسأ يا عدو الله فلن تعدو قدرك وضربه بسبع حجرات عند الجمرة الأولى ثم عرض له عند الجمرة الوسطى بنفس

الأسلوب فرده بنفس الصورة وضربه بسبع حجرات ثم عرض له عند الجمرة الصغرى بنفس الأسلوب فرده بنفس الصورة وضربه بسبع حجرات، وتابع الخطوات لتنفيذ أمر الله ، وصارح الأب ابنه: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ يا أبت كبني على وجهي حتى لاترى وجهي فتدركك رقة الأبوة فتحول بينك وبين تنفيذ أمر الله. يا أبت كفكف ثيابك حتى لايصيبك دمي فتراه أمي فتجزع لأمر الله، فارتاح إبراهيم لجواب ابنه، وفعل كذلك، فأكبه على وجهه، وحز بالموسى على رقبته فلم تقطع، فحدها وعاد فحز بها على رقبته فلم تقطع، ثم حدها وعاد فحز بها على رقبته فلم تقطع، فرفع رأسه إلى السماء ليعتذر إلى ربه، فرأى جبريل بيده كبش من الجنة نزل به فداءً للذبيح، كما جاء في الآيات القرآنية المتقدمة[1] .

* * * * *

[1] ملخص الزرقاني على المواهب .



وسبب قصة الذبيح الثاني هو تجديد حفر زمزم فقد دفن واختفى مكان زمزم وطويت بعد أن فجرها الله تبارك وتعالى للسيدة هاجر أم إسماعيل قبل ظهور عمران مكة المكرمة بعد الطوفان ورفع قواعد بيت الله الحرام.

وقدر الله تبارك وتعالى أن يعاد حفرها على يد جد النبي ﷺ، عبدالمطلب بن هاشم، وذكر كتَّاب السير والأخبار أن عبدالمطلب بينما كان نائماً في الحجر قرب الكعبة المشرفة إذ أُتي في نومه، فأمر بحفر زمزم.

قال ابن إسحاق: وكان أول ما ابتدئ به عبدالمطلب من حفرها، كما حدثني يزيد بن أبي حبيب المصري عن مرثد بن عبدالله اليزني عن عبدالله بن زرير الغافقي: أنه سمع علي بن أبي طالب رضي الله عنه يحدث حديث زمزم حين أمر عبدالمطلب بحفرها قال: قال عبدالمطلب: إني لنائم في الحجر إذ أتاني آت فقال: احفر طيبة، قال: قلت: وما طيبة؟ قال: ثم ذهب عني، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه، فجاءني فقال: احفر برة قال: قلت: وما برة؟ قال: ثم ذهب عني، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه، فجاءني فقال: احفر المضنونة، قال: قلت: وما المضنونة؟ قال: ثم ذهب عني، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال: احفر زمزم، قال: قلت: وما زمزم؟ قال: لا تنزف أبداً ولا تذم،

تسقي الحجيج الأعظم، وهي بين الفرث والدم، عند نقرة الغراب الأعصم، عند قرية النمل، فغدا عبدالمطلب مع ابنه الحارث وليس له يومئذ ولد غيره، فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر بين الوثنين إساف ونائلة اللذين كانت قريش تنحر عندهما ذبائحها.

قال ابن إسحاق: فلما بُين له شأنها، ودُلَّ على موضعها، وعرف أنه قد صدق، غدا بمعوله ومعه ابنه الحارث بن عبدالمطلب، ليس له يومئذ ولد غيره، فحفر فيها فلما بدا لعبدالمطلب الطي[1] كبَّر.

فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته، فقاموا إليه فقالوا: يا عبدالمطلب إنها بئر أبينا إسماعيل، وإن لنا فيها حقاً فأشركنا معك فيها، قال: ما أنا بفاعل وإن هذا الأمر قد خصصت به دونكم، وأعطيته من بينكم، فقالوا له: فأنصفنا فإنا غير تاركيك حتى نخاصمك فيه، قال: فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم، قالوا: كاهنة بني سعد هذيم، قال: نعم، وكانت بأطراف الشام، فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني أبيه من بني عبد مناف، وركب من كل قبيلة من قريش نفر، قال: والأرض إذ ذاك مفاوز، فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام فني ماء عبدالمطلب وأصحابه، فظمئوا حتى أيقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم، وقالوا: إنا بمفازة، ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم، فلما رأى عبدالمطلب ما صنع القوم وما يتخوف على نفسه وأصحابه قال: ما ترون؟ قالوا: ما رأينا إلا تبع لرأيك فمرنا بما شئت، قال: فإني أرى أن يحفر كل رجل حفرته بنفسه بما بكم الآن

(1) جدران البئر من الحجارة المطوية به .

من القوة، فكلما مات رجل واحد دفعه أصحابه في حفرته ثم واروه حتى يكون آخركم رجلاً واحداً، فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعاً، قالوا: نعم ما أمرت به، فقام كل واحد منهم فحفر حفرته، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشاً، ثم إن عبدالمطلب قال لأصحابه: والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت لا نضرب في الأرض ولا نبتغي لأنفسنا، لعجز، فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد، ارتحلوا، فارتحلوا حتى إذا فرغوا ومن معهم من قبائل قريش ينظرون إليهم ما هم فاعلون، تقدم عبدالمطلب إلى راحلته فركبها، فلما انبعث به انفجرت تحت خفها عين ماء عذب، فكبر عبدالمطلب وكبر أصحابه، ثم نزل فشرب وشرب أصحابه، واستقوا، ثم قالوا: قد والله قضى لك علينا يا عبدالمطلب والله لا نخاصمك في زمزم أبداً، إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذي سقاك زمزم، فارجع إلى سقايتك راشداً، فرجع ورجعوا معه دون أن يصلوا إلى الكاهنة وخلوا بينه وبينها[1]. فكانت السقاية والرفادة إلى عبد مناف قبل حفر زمزم، ثم صارت السقاية بعد وفاة عبد مناف إلى هاشم ثم لأبنائه من بعده.

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ أذن للعباس في حجة الوداع أن يترك المبيت في منى من أجل سقاية الحجيج. وأن النبي ﷺ وقف عليهم وهم يستقون الماء منها، ففي الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: استأذن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه رسول الله ﷺ أن يبيت بمكة ليالي منى من أجل سقايته فأذن له.

(1) السيرة لابن هشام وذكرها أيضاً ابن كثير في قسم السيرة النبوية من كتابه البداية والنهاية.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ جاء إلى السقاية فاستسقى فقال العباس: يافضل اذهب إلى أمك فأت رسول الله ﷺ بشراب من عندها، فقال: «اسقني» قال: يا رسول الله إنهم يجعلون أيديهم فيه، قال: «اسقني» فشرب منه، فأتى زمزم وهم يسقون ويعملون فيها فقال: «اعملوا فإنكم على عمل صالح» ثم قال: «لولا أن تُغْلَبُوا لنَزَعْتُ حتى أضعَ الحَبْلَ علَى هَذِهِ» يعني عاتقه وأشار إلى عاتقه[1].

وقوله: «لا تنزف أبداً»، فهي حقاً لم تنزف أبداً منذ ذلك الوقت وقد وقع فيها حبشي فنزحت من أجله فوجدوا ماءها يثور من ثلاثة أعين أقواها وأكثرها ماء من ناحية الحجر الأسود وقد ذكر هذا الحديث الدارقطني، وهي لاتزال حتى العصر الحاضر كما كانت في الماضي، وقد أخبرني أحد المشرفين على زمزم الدكتور عبدالعزيز الحميدي الأستاذ في جامعة أم القرى ـ حفظه الله ـ أنها لا تزال كذلك حتى اليوم، وذكر ذلك أيضاً المهندس يحيى كوشك في كتابه زمزم.

وقوله: «احفر برة» وهو اسم صادق عليها لأنها فاضت للأبرار وغاضت عن الفجار.

وقوله" «احفر المضنونة»، قال وهب بن منبه: سميت زمزم المضنونة لأنها ضن بها على غير المؤمنين فلا يتضلع منها منافق، وروى الدارقطني ما يقوي ذلك مسنداً عن النبي ﷺ: «مَنْ شَرِبَ مِنْ زَمْزَم فَلْيَتَضَلّعِ فإنه فَرْقُ ما بيننا وبين المُنَافِقِينَ أنهم لا يستطيعون أن يَتَضَلّعُوا منها».

[1] صحيح البخاري في الحج ١٦٣٤ ـ ١٦٣٥.

وفي تسميتها بالمضنونة رواية أخرى رواها الزبير: أن عبدالمطلب قيل له: احفر المضنونة ضننت بها على الناس إلا عليك، فإن ماءها طعام طُعْم وشفاء سقم، وهي لما شربت له[1]، وقد تقوّت من مائها أبو ذر رضي الله عنه ثلاثين بين يوم وليلة فسمن حتى تكسرت عُكَنُ بطنه وذلك عندما قدم مكة يبحث عن رسول الله ﷺ في حديث إسلامه المخرج في الصحيحين.

ومعنى: «طعام طُعْم» أي تغني شاربها ومتطعمها عن الطعام.

وحديث «ماء زَمْزَم لما شُرِبَ له» صححه ـ كما قال ابن حجر ـ أربعةٌ من الحفاظ، وهو حديث مشهور[2].

* * * * *

[1] وحديث (ماء زمزم لما شرب له) رواه ابن ماجة بسند جيد، وأحسن ما جاء عن هذا الحديث ما أخرجه الفاكهي عن ابن الزبير قال: لما حج معاوية حججنا معه، فلما طاف بالبيت صلى عند المقام ركعتين، ثم مر بزمزم وهو خارج إلى الصفا. فقال: انزع لي منها دلوا ياغلام قال: فنزع له منها دلوا، فأتي به فشرب، وصب على وجهه ورأسه وهو يقول زمزم شفاء وهي لما شرب له، وقال الحافظ ابن حجر إنه حسن مع كونه موقوفاً لوروده من طرق، وأفرد فيه جزءاً، واستشهد له في موضوع آخر بحديث أبي ذر رفعه: انها طعام طعم وشفاء سقم، وأصله في مسلم " ٢/١٦٢ كشف الخفاء.

[2] انظر كتاب فضائل ماء زمزم.

وانفجرت الرمال عن الوديعة

فإذا هي «زمزم» عين لا تغيض!!

وصدق إلهام «هاجر» حين قالت لأبي الطفل الذي جاء به مع أمه

إلى هذا الوادي الأجرد اليابس

آالله أمرك بهذا؟

قال الخليل عليه السلام: نعم، ولم يزد، ثم ولّى مسرعاً كأنه على موعد

قالت: إذن لا يضيّعنا

* * * *

أجل يا أم إسماعيل .. لن يضيّعكما الله

وفي صلب وليدك وديعة الوجود

وهدية السماء إلى الحياة بمن فيها وما فيها

* * * *

أجل يا أم إسماعيل .. إن الله سيجدّد بوليدك صادق الوعد ديباجة الحياة

وسيخلع عليها من جلابيب الفيض السماوي ما يحوّل ظلامها نوراً

وجبالها مآذن، وهضابها منائر للهداية

ووديانها مساجد يتعبّد في محاربها الموحدون

وآفاقها مراتع للحرية الإنسانية

يرتع في مسارحها المؤمنون بقداسة الحياة

وتتفلّق صخورها عن سر الأسرار في هذا الوجود

عن النور المخبوء في مشكاة كنـز الغيب

عن كلمة الله وأمانته منذ كان آدم بين الطين والماء*

* محمد رسول الله - محمد الصادق عرجون





صورتان لجوانب بئر زمزم توضحان تدفق المياه بين الأحجار



قال ابن إسحاق: وكان عبدالمطلب ـ فيما يزعمون ـ نذر حين لقى من قريش ما لقى عند حفر زمزم، لئن وُلد له عشرة نفر ثم بلغوا حتى يمنعوه ليذبحن أحدهم لله عند الكعبة.

فلما تكامل بنوه عشرة، وعرف أنهم سيمنعونه، وهم: الحارث، والزبير، وحجل، وضرار، والمقوّم، وأبو لهب، والعباس، وحمزة، وأبو طالب، وعبدالله، جمعهم ثم أخبرهم بنذره ودعاهم إلى الوفاء لله عز وجل بذلك، فأطاعوه وقالوا: كيف نصنع؟ قال: ليأخذ كل رجل منكم قدحاً ثم يكتب فيه اسمه ثم ائتوني، ففعلوا ثم أتوه فدخل بهم جوف الكعبة.

ولما جاء يستقسم بالقداح في جوف الكعبة خرج القدح على ابنه عبدالله ، فأخذ عبدالمطلب بيد ابنه عبدالله وأخذ الشفرة ثم أقبل به على إساف ونائلة حيث ينحرون، وكانا من أصنامهم، فقامت إليه قريش من أنديتها فقالوا: ما تريد يا عبدالمطلب؟ قال: أذبحه، فقالت له قريش: والله لا تذبحه أبداً حتى تعذر فيه فلئن فعلت هذا لا يزال الرجل يجيء بابنه حتى يذبحه فما بقاء الناس على هذا؟

ثم أشارت قريش على عبدالمطلب أن يذهب إلى الحجاز فإن بها عرافة ـ لها تابع من الجن ـ فيسألها عن ذلك، فانطلقوا حتى أتوا المدينة فوجدوا العرافة وهي سجاح فيما ذكره يونس بن بكير عن ابن إسحاق بخيبر، فركبوا حتى جاؤوها وقص عليها عبدالمطلب خبره

وخبر ابنه، فقالت له: ارجعوا عني اليوم حتى يأتيني تابعي فأسأله، فرجعوا من عندها فلما خرجوا قام عبدالمطلب يدعو الله ثم غدوا عليها فقالت لهم: قد جاءني الخبر، كم الدية فيكم؟ قالوا: عشر من الإبل، وكانت كذلك، قالت: فارجعوا إلى بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشراً من الإبل ثم اضربوا عليها وعليه بالقداح فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم، وإن خرجت على الإبل فانحروها عنه فقد رضي ربكم ونجا صاحبكم، فخرجوا حتى قدموا مكة، فلما أجمعوا على ذلك الأمر قام عبدالمطلب يدعو الله، ثم قربوا عبدالله وعشراً من الإبل، ثم ضربوا فخرج القدح على عبدالله، فزادوا عشراً ثم ضربوا، فخرج القدح على عبدالله، فزادوا عشراً فلم يزالوا يزيدون عشراً ويخرج القدح على عبدالله حتى بلغت الإبل مائة، ثم ضربوا فخرج القدح على الإبل، فقالت عند ذلك قريش لعبدالمطلب وهو قائم يدعو الله: قد رضي ربك يا عبد المطلب فعندها زعموا أنه قال: لا حتى أضرب عليها بالقدح ثلاث مرات، فضربوا ثلاثاً ويقع القدح فيها على الإبل، فنحرت ثم تركت لا يصد عنها إنسان ولا يمنع عنها سبع.

وقد روي أنه لما بلغت الإبل مائة ضربت القدح على عبدالله فزادوا مائة أخرى حتى بلغت مائتين، فخرج القدح على عبدالله فزادوا مائة فصارت ثلاثمائة ثم ضربوا فخرج القدح على الإبل فنحرها عند ذلك عبدالمطلب، والصحيح الأول.

وقد روى ابن جرير عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن يونس بن يزيد عن الزهري عن قبيصة بن ذؤيب أن ابن عباس سألته امرأة أنها نذرت ذبح ولدها عند الكعبة، فأمرها بذبح مائة من الإبل،

وذكر لها هذه القصة عن عبدالمطلب، وسألت عبد الله بن عمر. فقال لها: إن الله أمر بالوفاء بالنذر. فقالت له: فأنحر ابني؟. قال ابن عمر: قد نهاكم الله أن تقتلوا أنفسكم، فلم يزدها عبد الله بن عمر على ذلك، فبلغ هذا الحديث مروان، فقال: ما أرى ابن عمر ولا ابن عباس أصابا بالفتيا، إنه لانذر في معصية الله، ثم أمر المرأة أن تستغفر الله، وتعمل ما استطاعت من الخير، فسُر الناس بذلك، وأعجبهم قول مروان، ورأوا أنه قد أصاب الفتيا، فلم يزالوا يفتون: ألاَّ نذر في معصية "[1].

* * * * *

[1] تاريخ الأمم والملوك للطبري: ٢/٢٤٠ .



أصبح حديث الذبح والفداء حديث مجالس قريش في منتدياتها، ووصل الحديث إلى نساء قريش وربات الحجال في خدورهن فتحدثن به وشغفن بعبدالله بن عبدالمطلب الفتى القرشي الهاشمي أجمل شباب قريش وأوسطهم نسباً والذي كانت أنوار النطفة النبوية التي يحملها في ظهره تلوح على محياه، وذكر أصحاب الأخبار والسير أن بعض فتيات قريش رغبن في الزواج بعبد الله، وعرضن عليه ذلك بل إن بعضهن عرضن عليه أن يواصلهن سفاحاً لا نكاحاً.

فقد كان سوق البغاء والسفاح معروفاً عند العرب في الجاهلية حتى كان البغايا ينصبن على أبوابهن رايات يعرفن بها.

ففي الحديث عن عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته: أن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء: فنكاحٌ منها نكاح الناس اليوم، يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها، ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها ـ حيضها: أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع، ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت ومر ليال بعد أن تضع حملها، أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل منهم أن

يمتنع حتى يجتمعوا عندها، تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم، وقد ولدت فهو ابنك يا فلان، تسمي من أحبت باسمه، فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع به الرجل، ونكاح رابع يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمنع من جاءها، وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً، فمن أرادها دخل عليها، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها، ودعوا لهم القافة[1]، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون، فالتاطته به[2]، ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك، فلما بعث محمد ﷺ بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم[3].

وذكر أصحاب الأخبار والسير عدداً من النساء عرضن أنفسهن على عبدالله والد رسول الله ﷺ، منهن أم قتال بنت نوفل، أخت ورقة بن نوفل، وكانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل، وكان قد تنصر واتبع الكتب، أنه كائن في هذه الأمة نبي، فطمعت أن يكون منها، فأبى عبد الله فجعله الله تعالى في أشرف عنصر وأكرم محتد وأطيب أصل، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[4].

وقال أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي: حدثنا علي بن حرب، حدثنا محمد بن عمارة القرشي، حدثنا مسلم بن خالد الزنجي، حدثنا ابن جريج، عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال: لما انطلق عبدالمطلب بابنه عبدالله ليزوجه، مر به على كاهنة من

---

[1] القافة: جمع قائف، وهو الذي يعرف شبه الولد بالوالد بالآثار الخفية.

[2] فالتاطته به أي: استلحقه به وأصل اللوط بفتح اللام اللصوق.

[3] صحيح البخاري في كتاب النكاح رقم ٥١٢٧.

[4] الانعام / ١٢٤ .

أهل تبالة متهودة، قد قرأت الكتب، يقال لها فاطمة بنت مرة الخثعمية، فرأت نور النبوة في وجه عبدالله، فقالت يا فتى هل لك أن تقع علي الآن وأعطيك مائة من الإبل؟ فقال عبدالله:

أمَّا الحرامُ فالمَماتُ دونَهُ   والحِلُّ لا حِلَّ فأستَبِينَهُ

فكيف بالأمرِ الذي تبغينَهُ

وفي هذا يقول الشاعر الدكتور محمد سليمان حول رغبتهن فيه وحيائه وتعففه عن الحرام:

وبالعِنايةِ قد رُبِّيتَ في أدبٍ   وَصَانكَ اللهُ من فُحْشٍ ومِن

وكنتَ آثرَ أبناءٍ حظيتَ بما   لم يحظَهُ وَلَدٌ من حُبِّهِ الجَزلِ

وعِشتَ ذا وَرَعٍ في كُلِّ   مِنَ الحياةِ ولم تَهبِطْ إلى

ثم مضى مع أبيه فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، فأقام عندها ثلاثاً، ثم إن عبد الله أتى الكاهنة فقالت: ما صنعت بعدي؟ فأخبرها، فقالت: والله ما أنا بصاحبة ريبة، ولكني رأيت في وجهك نوراً فأردت أن يكون فيَّ، وأبى الله إلا أن يجعله حيث أراد[1].

وروى البيهقي وأبو نعيم عن ابن شهاب رحمه الله تعالى قال: كان عبدالله أحسن رجل رُئي قط، خرج يوماً على نساء قريش، فقالت امرأة منهن: أيتكن تتزوج بهذا الفتى فتسطب ـ تدخل وتسكب ـ النور الذي بين عينيه فإني أرى بين عينيه نوراً؟ فتزوجته آمنة بنت وهب.

---

[1] السيرة النبوية لابن كثير ١/١٧٧ وانظر الوفا بأحوال المصطفى.

وروى الزبير بن بكار عن سودة بنت زهرة بن كلاب الكاهنة قالت يوما لبني زهرة: إن فيكم نذيرة، أو تلد نذيراً فاعرضوا علي بناتكم، فعرضن عليها، فقالت في كل واحد منهن قولا ظهر بعد حين، حتى عرضت عليها آمنة بنت وهب فقالت: هذه النذيرة أو تلد نذيراً له شأن وبرهان منير[٢].

وهكذا صان الله نبينا ﷺ من لوث الجاهلية وسفاحها فحدث ما أخبر عنه النبي ﷺ بعد ذلك.

ففي الحديث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خَرَجْتُ من نِكَاح ولم أخرُج مِن سِفَاح، من لَدُنْ آدمَ إلى أن وَلَدني أبي وأمي، لم يُصِبْنِي من سِفاحِ الجَاهِلِيّة شيء»[٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لم يَلْتَقِ أبَوَايَ قطّ على سِفَاح، لم يَزَلِ الله يَنقُلُنِي من الأصْلابِ الطَّيِّبَة إلى الأرحَامِ الطَّاهِرة مُصفّى مُهَذّباً، ولا تَتَشَعّبُ شُعْبَتَان إلا كُنْتُ في خَيرِهِمَا»[١].

ويؤيدُ ذلك ما في الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بُعِثْتُ من خَيرِ قُرونِ بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت من القرن الذي كنت فيه»[٢].

وروى البيهقي في دلائل النبوة والترمذي، وحسنه عن العباس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إن الله خلق الخلق فجعلني من

---

[٢] سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ١/٣٢٥.

[٣] أورده ابن سعد في الطبقات:١/٣٢

[١] الوفا بأحوال المصطفى ١/٧٩. الدر المنثور: ٣/٢٩٤

[٢] رواه البخاري في المناقب:٤/٢٥٩،٢٢٩، وأحمد في مسنده ٢/٣٧٣

خيرهم من خير قرنهم، ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة، ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً»[٣].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

---

[٣] ذكره الترمذي في المناقب:٥/٥٤٤، وأحمد في مسنده: ١/٢١٠، وكذلك في ٤/١٦٦

المستقر والمستودع

وإذا نظرنا في المستودع الذي أودع الله سبحانه وتعالى فيه هذا النبي الكريم والرسول العظيم ﷺ، نلاحظ أنه أصل طاهر وهذا من الأمور التي لا تحتاج إلى دليل، فهو كما جاء معنا: نخبة بني هاشم وسلالة قريش، وأشرف العرب وأعزهم نفراً، سواء من قبل أبيه أو أمه، وهو مولود في مكة المكرمة، ومن أهل مكة المكرمة، وأعداؤه ﷺ يشهدون له بذلك، ولهذا شهد له به أبو سفيان بن حرب ـ قبل إسلامه ـ بين يدي ملك الروم، وكان بينه وبين النبي يومذاك حروب، وبلغ أبا سفيان أن النبي ﷺ تزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان. قال: نِعمَ الفحل لايقرع أنفه، وكان مسروراً جداً بذلك مع أنه كان بينه وبين النبي حرب، ولكنه لم يرتفع له سيف بعد ذلك ضد الرسول ﷺ.

فأشرف القوم قومه، وأشرف القبائل قبيلته، وأشرف الأفخاذ فخذه ﷺ.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[1]

وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾[2] قال من صلب نبي إلى صلب نبي حتى صرت نبياً.[3]

---

(1) الأنعام /١٢٤

(2) الشعراء /٢١٩

(3) رواه البزار والطبراني. رجاله ثقات

وعن عطاء عنه في الآية قال: «مازال نبي الله ﷺ يتقلب في أصلاب الأنبياء حتى ولدته أمه»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت في القرن الذي كنت فيه»[2].

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «قال جبريل قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد أفضل من محمد، ولم أجد بني أب أفضل من بني هاشم»[3].

وعن جعفر بن محمد عن أبيه ـ معضلاً ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل فقال: يامحمد إن الله بعثني فطفت شرق الأرض وغربها، وسهلها وجبلها فلم أجد حياً خيراً من مضر. ثم أمرني فطفت في مضر فلم أجد حياً خيراً من كنانة، ثم أمرني فطفت في كنانة فلم أجد حياً خيراً من قريش، ثم أمرني فطفت في قريش فلم أجد حياً خيراً من بني هاشم، ثم أمرني أن أختار في أنفسهم فلم أجد نفساً خيراً من نفسك»[4].

---

(1) رواه أبو نعيم.دلائل النبوة ٢٥

(2) صحيح البخاري ٢١٩/٢ كتاب المناقب باب صفة النبي ﷺ، وينظر: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للامام محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد (١٩٩٧ م) الجزء الثاني ص ٢٧٥

(3) رواه الطبراني، والبيهقي، وابن عساكر. قال الحافظ في أماليه: لوامح الصحة ظاهرة في صفحات هذا المتن.

(4) رواه الحكيم الترمذي وذكره السيوطي في الدر المنثور:٢٩٥/٣

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ماولدتني بغي قط منذ خرجت من صلب آدم، ولم تزل تنازعني الأمم كابراً عن كابر حتى خرجت من أفضل حيين في العرب: هاشم وزهرة»[1].

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفَسكم﴾ بفتح الفاء وقال: «أنا أنفَسكم نسباً وصهراً وحسباً، ليس في آبائي من لدن آدم سفاح، كلنا نكاح»[2].

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: إن قريشاً «أي المسعدة بالإسلام» كانت نوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم ﷺ بألفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه، فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور في صلبه. قال رسول الله ﷺ: «فأهبطني الله تعالى إلى الأرض في صلب آدم، وجعلني في صلب نوح، وقذف بي في صلب إبراهيم، فلم يزل ينقلني من الأصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة حتى أخرجني من بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط»[3].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي عليه الصلاة والسلام قال ـ كما رواه أبو عمر العدني ـ: «لما خلق الله آدم أهبطني في صلبه

[1] رواه ابن عساكر:١/٣٤٦. والسيوطي في الدر المنثور:٣/٢٩٥. وصاحب كنز العمال برقم ٣٢٠١٩

[2] سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد (١٩٩٧ م) الجزء الثاني ص ٢٧٦ ، ٢٧٧

[3] سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد (١٩٩٧ م) الجزء الثاني ص ٢٧٨. وذكره القاضي عياض في الشفا:١/٣٥٨

إلى الأرض، وجعلني في صلب نوح في السفينة، وقذف بي في النار في صلب إبراهيم، ثم لم يزل ينقلني في الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة، ثم أخرجني بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط».

وإلى هذا المعنى أشار العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبي ﷺ بقوله في مدح النبي ﷺ:

مِنْ قَبلِها طِبتَ في الظِّلالِ وفي ... مُستودَعٍ حيثُ يُخصَفُ الوَرَقُ

ثُمَّ هبطتَ البلادَ لا بَشرٌ ... أنتَ ولا مُضغَةٌ ولا عَلَقُ

بَل نُطفةٌ تركبُ السَّفينَ وقد ... ألجمَ نسراً وأهلَهُ الغَرَقُ

تُنقَلُ مِنْ صالبٍ إلى رَحِمٍ ... إذا مَضى عالَمٌ بَدا طَبَقُ

ثمَّ احتوى بيتَكَ المهيمنُ مِن ... خِنْدِفِ علياءَ تحتَها النُّطُقُ

وأنتَ لمَّا وُلدتَ أشرقتِ الأر ... ضُ وضاءتْ بنورِكَ الأفُقُ

فنحنُ في ذلكَ الضياءِ وفي النو ... رِ وسُبُلِ الرَّشادِ نَخترِقُ

يا بَرْدَ نارِ الخليلِ يا سبباً ... لعصمَةِ النارِ وهي تَحترِقُ

وكتب الإمام العلامة الفقيه نور الدين القاري في شرح الشفا فقال:

قوله: «من قبلها» أي من قبل الدنيا أو الولادة، وقيل من قبل نزولك الأرض.

«طبت في الظلال» أي في ظلال الجنة، وفي رواية طبت في الجنان.

«وفي مستودع حيث يخصف الورق» أي طبت في مستودع من صلب آدم، وهو مستفاد من قوله تعالى: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾.

وقوله: «ثم هبطت البلاد لا بشر أنت ولا مضغة ولا علق» أي: من الجنة إلى الدنيا في صلب آدم، والحال أنك لم تكن حينئذ واحداً منها أي من المضغة والعلق.

«بل نطفة تركب السفين» أي بل نزلت وأنت في صلب آدم نطفة ثم صرت إلى نوح حال كونك تركب السفينة.

«تنقل من صالب إلى رحم إذا مضى عالم بدا طبق» أي: إذا ذهب قرن ظهر قرن.

«ثم احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق» أي: ثم احتوى بيتك الشاهد من خندف، والمراد به امرأة إلياس بن مضر سميت بها القبيلة، واسمها ليلى وهي القضاعية أم عرب الحجاز. وقوله: «علياء» أي: منزلة علياء، «تحتها النطق» وهي التي يشد بها أوساط الناس، ضربه مثلا له في ارتفاعه وتوسطه في عشيرته، وجعلهم تحته بمنزله أوساط الجبال، وأراد ببيته شرفه في عشيرته أو نفسه في حد ذاته.

وبعد أن شرحها قال: رواه أبو بكر الشافعي والطبراني عن خريم ابن أوس بن حارثة وذكر هذه الأبيات في الغيلانيات بسنده إلى خريم، بضم الخاء المعجمة وفتح الراء. قال العباس: هاجرت إلى رسول الله ﷺ، فقلت: إني أريد أن أمتدحك. فقال له رسول الله ﷺ: «قل لا يفضض اللهُ فاك» فأنشد العباس يقول: فذكر سبعة أبيات آخرها «فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق». وكذا قال ابن عبد البر في استيعابه في خريم، وذكر ابن قيم الجوزية في

كتاب: هدى النبي ﷺ في غزوة تبوك، نحوه وزاد بعضهم بيتاً آخر وجد بخط أبي علي الغساني وهو:

يا برد نار الخليل ياسببا   لعصمة النار وهي تحترق[1]

ويؤيد هذا المعنى قوله تبارك وتعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾[2] فكل الناس متفرعون من نفس واحدة مع ما بينهم من تفاوت في الصفات والخصائص والملكات والمواهب.

وظلت موروثات الناس تنتقل بقدرة الله تعالى من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات حتى الوقت المحدد لبروزهم وظهورهم إلى الحياة ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ فالإنسان قبل أن يكون مجسماً بأعضائه وصفاته كان صيغة كروموزومية وموروثية معينة، فهو ـ كما يقول الأطباء والعلماء المختصون ـ ست وأربعون كروموزومًا تحتوي على عدد كبير من الموروثات ـ الجينات ـ تتوزع عليها بصيغة تختلف من إنسان إلى إنسان آخر، وهذه الكروموزومات والموروثات وجدت كلها في آدم عليه السلام، ثم أخذت تتوزع في ذريته.

وتصور المسألة بسيط، إن قرص الهاتف يحتوى على عشرة أرقام فقط، نستطيع بإدارتها بترتيب مختلف أن نكلم من نشاء في أرجاء المعمورة، وأرقام هواتف العالم كلها موجودة في هذا القرص[3].

فكل إنسان تنقل من أصلاب آبائه إلى أرحام أمهاته من لدن آدم عليه السلام حتى الوقت المحدد لبروزه إلى الحياة، إنها رحلة طويلة

---

[1] انظر شرح الشفا في شمائل صاحب الاصطفا ﷺ للقاري ٣١٩/٢.

[2] الأنعام ٩٨.

[3] القرار المكين صفحة ٢٥٨.

وطويلة جداً، ولكنها مقدرة ومعلومة في كل مراحلها وأطوارها وحركاتها، إنها رحلة مبرمجة بدقة من قبل الله العلي الحكيم الذي قال: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ أي يفهمون معاني هذه الآيات، فالفقه: الفهم واستعمال الفطنة وتدقيق النظر[1].

ويقوي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[2].

ووضّحه النبي ﷺ، فقد أخرج الإمام أحمد عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة، فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه، ثم كلمهم قبلا قال: ألست بربكم؟.قالوا: بلى. شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا: ...إلى قوله:المبطلون »[3].

هذا هو أصل هذا النبي الكريم ﷺ الذي تنقل في هذه الأصلاب الطاهرة، إلى الأرحام الزكية، إلى أن ولدته أمه آمنة بعد زواج من أبيه عبد الله بن عبد المطلب لاسفاح فيه، فلننظر في هذا الزواج المبارك، وفي هذا يقول الشاعر الدكتور محمد سلمان فرج في طهارة آبائه واصطفاء الله لهم في الأزل:

أباءُ طهَ إلى المعصومِ آدمُهم — فازوا بنصٍّ خيار حينَ من عِلَلِ
وفي تقلُّبِك الآياتُ ناطقةٌ — بأعظمِ المدح فاهنأ في الملا الأوَلِ

(1) انظر كتاب الحق في سورة الانعام.
(2) الأعراف الآيتان (١٧٢ – ١٧٣).
(3) مسند أحمد: ١/٢٧٢(٤٥١)٢.

ويقول شاعر آخر:

سيّدٌ مِنْ خيرِ سَاداتٍ سرى — فيهمُ النورُ بكلِّ الحِقَبِ
سَاجدٌ مِنْ ساجدٍ أخبرنا — عنهمُ القرآنُ فوقَ الرِّيَبِ
مُنذُ أهدَى آدمٌ غرّتَهُ — ظهرَ شيثٍ وإلى نوحَ الأبِي
ثمَّ إبراهيمَ جدِّ الأنبياء — ثمَّ إسماعيلَ جدِّ العربِ
قبسةٌ مِن نورِ ربِّي أشرقَتْ — كلَّ جيلٍ في جبينٍ مُنجبِ
قَد نَماه سَاجدٌ مِن ساجدٍ — تحتَ عينِ الله في كُلِّ أبِ
أمُّه أزكى وِعاءٍ ضمَّه — مِن أبٍ أجدادُهُ في النُّجُبِ
كلُّهمْ هَادٍ حنيفٌ مؤمِنٌ — عارفٌ بالمصطفى المرتَقبِ
خِيرَةٌ مِن خِيرَةٍ من خِيرَةٍ — خصَّها اللهُ بأعلَى الرتَبِ

ويقول الإمام الدميري في ذلك

آباؤهُ قَدْ طَهُرَتْ أنسابَا — وشَرُفَتْ بَينَ الوَرى أحسابا
نِكَاحُهُمْ مِثلُ نِكاحِ الإسْلامْ — كَما رَواهُ النُّجباءُ الأعْلامْ
وَمَنْ أبى أوْشَكَ في هذا كفَرْ — وذَنْبُهُ فيما جَنَى لا يُغْتَفَرْ
نَقَلَ ذَا الحافظُ قُطْبُ الدينِ — عَن صَاحِبِ البيانِ والتَّبيينِ

ويقول الامام النبهاني أيضاً:

ولَمْ يزلْ نورُ النبيِّ الأكملُ — مَن سيِّدٍ لسيدٍ يَنتقِلُ
كأنه فوقَ الجبينِ مشعَلُ — يَراهُ مَنْ يَغْفَلَ أو لا يَغْفلُ
ككوكَبٍ قَد حَلَّ بُرجَ سَعدِ

ويقول الإمام الشهرستاني في «الملل والنحل»:

ظهر نورالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في أسارير عبد المطلب بعض الظهور وببركة ذلك النور ألهم النذر في ذبح ولده، وببركته كان يأمر ولده بترك الظلم والبغي ويحثهم على مكارم الأخلاق وينهاهم عن دنيات الأمور، وببركة هذا النور كان يقول في وصاياه: إنه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى يُنتقم منه وتصيبه عقوبة ـ إلى أن هلك رجل ظلوم لم تصبه عقوبة ـ فقيل لعبد المطلب في ذلك ـ ففكر في ذكاء فقال: والله إن وراء هذه الدار داراً يجزي فيها المحسن بإحسانه ويعاقب فيها المسيء بإساءته، وببركة ذلك النور قال لأبرهة (يوم الفيل) إن لهذا البيت رباً يحميه ـ وكذلك قال ـ وقد صعد أبا قبيس ينادي المولى سبحانه وتعالى ويطلب النصر.

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾، قال: فلن تزال من ذرية إبراهيم ناس على الفطرة يعبدون الله تعالى وكذلك ما أخرجه أبو الشيخ في تفسيره عن زيد بن علي قال: قالت سارة لما بشرتها الملائكة: ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾[1]، فقالت الملائكة ترد على سارة: ﴿قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾[2]، قال: فهو كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾[3]، فسيدنا محمدٌ من عقب إبراهيم عليه السلام داخل في ذلك.

(1) هود / ٧٢.
(2) هود/ ٧٣.
(3) الأعراف/٢٨.

وقد قال البرزنجي في سداد الدين (بتصرف) في شأن والدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إنهما كانا على دين إبراهيم عليه السلام وهذا الوجه عام في جميع آبائه إلى إسماعيل عليه السلام، والدليل على ذلك أن إبراهيم وإسماعيل ـ صلى الله عليهما وعلى نبينا وآله وسلم- لما بنيا البيت دعوا بدعوات من جملتها: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾[1]، وأخرج ابن جرير في تفسير الآية ـ قال: استجاب الله له وجعل البلد آمنا ورزق أهله من الطيبات وجعله إماماً وجعل من ذريته من يقيم عبادة الله.

وإذا وجد من ذكر في كل زمان فلا بد أن يكونوا آباءه صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم الخيرة بالنص في كل عصر ولو لم يكونوا كذلك لكان غيرهم أخير منهم.

ويقول الدكتور محمد جمعة سالم في تقديمه لكتاب الوفاء يقول تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ فهذه الآية محكمة المعنى قطعية الدلالة في نجاة والدي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وقد مات أبوه وهو في بطن أمه، وماتت أمه وهو ابن ست سنين، ولم يؤثر عنهما سجود للأصنام أو ارتكاب الآثام بل كانا على الحنيفية التي كان عليها بعض أهل الفترة كما قال العلماء، ولذلك فكل حديث شريف معارض لذلك في ظاهره، إما أن يكون منسوخاً أو يحتمل التأويل الصحيح الذي يتفق مع الآية لأنها يقينية الثبوت قطعية الدلالة ولكن الحديث ظني الدلالة ظني الثبوت فيجب العمل بهذا المنهج كما بين ذلك علماء الأصول والراسخون في العلم.

(1) البقرة / ٤٧.

ومما يدل على ذلك اصطفاء الله تعالى لآبائه صلى الله عليه وآله وسلم واختيارهم ليكونوا أطهر الناس وأفضلهم في كل قرن مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ وقد بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: «**إن الله اصطفى كنانة من بني إسماعيل واصطفى من بني كنانة قريشاً واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم**» رواه احمد ومسلم والترمذي وجاء في رواية الطبراني والبيهقي وأبي نعيم قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**فأنا من خيار إلى خيار**»، وصرح ﷺ أيضاً بفضل أبيه وأنه خير الآباء كما جاء في دلائل النبوة للبيهقي من رواية أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**فأنا خيركم نفساً وخيركم أباً**».

ويقول الشيخ عبد المنعم فرج: إن قضية نجاة والدي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قضية هامة شغلت الباحثين من العلماء والمفكرين، فتناولها بالبحث والدراسة والتحقيق أئمة كبار لايجهل قدرهم ولاينكر فضلهم بين أوساط العلماء العاملين، وهؤلاء العلماء المحققون والنظار المدققون ذهبوا إلى نجاة والدي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وقد حرروا في ذلك المصنفات وأفتوا بنجاة الأبوين الشريفين مؤصلين الفتوى على الكتاب والسنة والأقوال المعتبرة عند أهل العلم والملتزمين جانب الأدب والتوقير للجناب النبوي الشريف الذي أمر الله سبحانه بتعظيمه وتوقيره في كل ما يتعلق بشخصية الطاهر المبارك العظيم ـ وقد استدل العلماء على نجاة الوالدين الشريفين بأدلة كثيرة جداً منها قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ ـ حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**لم يزل الله**

ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذباً لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما»[1]، مما يدل على أن الوالدين الشريفين ليسا من المشركين وكذلك استدل العلماء على نجاتهما بأنهما من أهل الفترة وهي المدة التي تقع بين رسولين لم يدرك السابق منهما ولم يعاصر اللاحق، فوالداه الكريمان لم يدركا أي رسالة ولم يرفضا الإيمان بل كانا على الفطرة الحنيفية السمحة وللعلماء في هذه صولات وجولات، وقد بلغت المؤلفات في نجاة والدي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم مبلغاً عظيماً.

ومن الأعلام الذين كتبوا في ثنايا مؤلفاتهم حول هذا الموضوع وقضوا بنجاة الأبوين الكريمين:

ابن العربي المالكي وابن شاهين وابن المنير وابن ناصر الدين الدمشقي والفخر الرازي والسبكي والقرطبي والآبي والمحب الطبري وابن حجر الهيثمي وابن حجر العسقلاني وحافظ الدين الحنفي والبرزنجي والنبهاني، والشيخ محمد زكي إبراهيم والإمام الجعفري وغيرهم كثير.

وكل من خالف في هذه إنما يستند إلى حديث ظني معارض بحديث آخر بل معارض بالدليل القرآني القطعي.

وهذا الحديث المردود من رواية حماد بن سلمة لعله رواه بما فهمه لا ماسمعه لأن حماداً رواه عن ثابت. والحديث الذي يعارض مروي أيضاً عن ثابت رواه معمر بن راشد. وليس فيه قول: « أبي

---

[1] أخرجه السيوطي في الدر المنثور: ٣/٢٩٤و٥/٩٨

وأبوك في النار »[١] وإنما فيه: « إذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار » مع أنهما رويا عن شيخ واحد ولا أدرى لماذا يتمسكون برواية تخالف القرآن ويهملون التي لاتعارضه، هذا ومعمر أثبت من حيث الرواية بينما يقولون عن حماد إن في أحاديثه مناكير.

وروى ابن ماجة عن الزهري عن سالم عن أبيه قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ! إنّ أبي كان يصل الرحم، وكان، فأين هو؟ قال: « في النار ». قال: فكأنه وجد من ذلك. فقال: يا رسول الله فأين أبوك؟ فقال رسول الله ﷺ: « حيثما مررت بقبر مشرك فبشره بالنار » قال: فأسلم الإعرابي بعد، وقال: لقد كلفني رسول الله ﷺ تعبا. ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار »[٢]

وهذا الحديث الذي رواه الزهري عن سالم عن أبيه يؤيد بقوة رواية معمر بن ثابت، لاسيما وأنه قد ذكر في الزوائد أن حديث الزهري هذا صحيح الإسناد.

ثم إن قول النبي ﷺ: « مهما مررت بقبر مشرك فبشره بالنار »، فينبغي أن يحمل على ما بعد البعثة، وإذا حمل على على ما قبل البعثة فيدخل فيه من كان على منهج عمرو بن لحي الذي أدخل عبادة الأصنام. وشرع للعرب مالم يأذن به الله، فبحر البحيرة، وسيب السايبة، ووصل الوصيلة وحمى الحامي» وعمرو بن لحي كان معاندا في ابتداعه وحمله الناس على عبادة الأصنام.

[١] لاحاجة لرد الحديث فتأويله صحيح يعني أباطالب لأن العرب تدعو العم أبا.

[٢] سنن ابن ماجة. باب زيارة قبور المشركين: ١/ ٥٠١ (١٥٧٣)

أما من عاش من أهل الفترة، غير معاند ولا مبدل، ومات على ذلك، فلا يمكن أن يحكم عليه بالنار، لاسيما أن كثيراً من الآيات قد تظاهرت على إيمان أهل مكة بالله، ومنهم آباء رسول الله ﷺ: ونذكر على الخصوص جده عبد المطلب في مواقفه الكريمة، ومقالته الشهيرة: إن للبيت رباً يحميه. وأخص من ذلك تسميته لابنه الحبيب " عبد الله ". ولاشك أن " عبد الله " والد الرسول ﷺ كان على ملة أبيه عبد المطلب، وكذلك والدته آمنة

ومن الآيات التى تدل على إيمان أهل مكة بالله ربا خالقاً للكون قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[١]. بل تدل بعض الآيات على علمهم ببعض صفات الله العلا كقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾[٢]

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[٣]

وكذلك جاءت الآيات دالة على أن أهل مكة كانوا يؤمنون بأن الله هو المدبر للكون كقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[٤]. ولاشك أن إيمانهم هذا استمرار لما تبقى من الحنيفية ملة إبراهيم.

[١] لقمان /٢٥ والزمر /٣٨

[٢] الزخرف /٩

[٣] العنكبوت /٢٩

[٤] العنكبوت /٦٣

ثم إن هناك آيات متعددة في نجاة أهل الفترة من عذاب الآخرة كقوله تعالى ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [1].

وكقوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ [2].

فهاتان الآيتان تدلان على انتفاء عذاب الآخرة بالخصوص على من عاش بالفترة ولم تبلغه رسالة، وان دخول من يدخل النار كان بعصيانهم بعد إرسال الرسل.

وقد ورد في أهل الفترة أحاديث كثيرة منها :

ماروي عن الأسود بن سريع أن رسول الله ﷺ قال: « أربعة يحتجون يوم القيامة: رجل أصم لايسمع شيئا، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل هلك في الفترة »[3]

عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: « يؤتى بأربعة يوم القيامة: بالمولود، والمعتوه، ومن مات في الفترة وبالشيخ الفاني ».

• • • • •

[1] الملك /٨

[2] الزمر/٧١

[3] رواه الامام أحمد في المسند: ٤/٢٤٠



الزَّواجُ المُبَارَك

اختار عبد المطلب وهو شيخ قريش وأعلمها بأنسابها عروساً لابنه فتاةً من بني زهرة، هي السيدة آمنة بنت وهب، وهي أكرم فتاة في قريش، إذ هي من بني زهرة بن كلاب شقيق قصي، وهما أشرف أصول قريش، وأبوها وهب بن عبد مناف سيد زهرة شرفاً وحسباً، وأمها من بني عبد الدار، فهي من صفوة قريش أباً وأماً.. فأما الزوج فهو ابنه عبد الله بن عبد المطلب، فهما صفوة الصفوة من قريش كما مر معنا في قول الرسول ﷺ « لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذبا لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما » [1].

وربما كانت العروس ترنو من بعيد بروحها وقلبها إلى ابن عمها عبد الله بن عبد المطلب، أجمل فتيان قريش وأكرمهم، ومن البديهي أن يخفق قلبها خوفا ويمتلئ الصدر شجناً حين ملأ النبأ أرجاء مكة بأن عبد المطلب سيفي بنذره ويذبح أحب أبنائه إليه. ثم كان الفداء، وكانت نجاة عبد الله من الذبح، وضجت مكة المكرمة فرحاً بالنبأ السعيد، وامتلأ قلب آمنة بالرضا والسعادة.

وما إن فرغ عبد المطلب من نحر الإبل حتى توجه مع جماعة من وجوه بني هاشم إلى بيت سيد بني زهرة وهب بن عبد مناف، وإلى

[1] أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٤٩/١

يمينه ولده الغالي عبد الله، وتساءلت آمنة: فيم مجيء وفد بني هاشم؟ ودخلت أمها برة لتزف إليها النبأ ودخل أبوها وهب ليقول في رقة: إن شيخ بني هاشم قد جاء ليطلبك زوجة لابنه عبد الله، وعاد من فوره إلى ضيفه الكريم، وترك آمنة في سرور بالغ وحبور تاهت به الدنيا جذلاً.

إذن لقد اختارها رب العالمين لتكون زوجاً لفتى بني هاشم الذي امتلأ وجدان أهل مكة حباً له وتعلقاً به، وها هو ذا القلب الطاهر يخفق عالياً من أثر المفاجأة التي حققت حلمها بسرعة لم تكن تتوقعها، وأراحت صدرها على صدر أمها برة لتستمد السكينة من حنانها.

وتسامعت مكة المكرمة بهذه الأنباء، فاستعدت للاحتفال بزفاف العروسين النبيلين أفضل فتى في قريش ومكة المكرمة، إلى أطهر وأكرم فتاة في الدنيا، وأضيئت المشاعل في أرجاء الحرم الآمن، وحفلت دار الندوة بوجوه قريش وسادتها، واستمرت الأفراح ثلاثة أيام بلياليها، وانتقلت إلى دار زوجها الحبيب، دار بسيطة لكنها مع الحبيب أجمل من قصور الدنيا كلها [1].

وروى عن عبد المطلب أنه قال: خرجت إلى اليمن في رحلة الشتاء، فنزلت على رجل من اليهود يقرأ الزبور، فقال: يا عبد المطلب أتأذن لي أن أنظر إلى بعض جسدك؟ قلت: نعم ما لم يكن عورة. فنظر في منخري فقال: أجد في أحد منخريك مُلكًا وفي الآخر نبوة، فهل لك من شاعة؟ قلت: وما الشاعة؟ قال: الزوجة. قلت أما

[1] إنها فاطمة الزهراء صفحة ٤٤.

اليوم فلا. قال: فإذا قدمت مكة فتزوج. فقدم عبد المطلب فتزوج هالة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، فولدت له حمزة وصفية. ثم تزوج عبد الله بن عبد المطلب آمنة بنت وهب، فولدت رسول الله ﷺ. فكانت قريش تقول: فلج[1] عبد الله علي أبيه.

وفي رواية أخرى أنه قال: وفي الآخر نبوة وإنا نجد ذلك في بني زهرة فإذا رجعت فتزوج فيهم [2].

ومع شرف نسبها كانت على خلق وتواضع، دل على ذلك وصفه ﷺ لها، ففي الحديث عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ رجل فكلمه، فجعل ترعد فرائصه[3]، فقال له: « هون عليك فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد »[4] وهو اللحم المجفف، وهذا تواضع منه ﷺ مبينا تواضع أمه ومكانتها.

هذا هو الزوج، وهذه هي الزوجة، وقد تم الزواج الذي ظل النبي ﷺ يذكره متواضعاً ومبيناً منزلة أمه ومكانتها وشرف نسبه إليها بأنه ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد، فهو تراه ينتسب لأمه تارة، وأخرى ينتسب لجده مبينا فضله ومكانته، كما جاء معنا يوم كان يقول: « أنا ابن الفواطم والعواتك» [5].

[1] فلج: أي فاز.

[2] الوفا باحوال المصطفى صفحة ١/٨٥ وأخرجه أيضاً الحاكم والبيهقي والطبراني وأبو نعيم.

[3] أي تهتز عضلات صدره.

[4] أخرجه ابن ماجة في كتاب الأطعمة/٣٠

[5] ذكره صاحب فيض القدير عن سيابة بن عاصم ورمز له برمز الصحة فهو حديث صحيح، التيسير للمناوي: ١/٣٧٥

«أنا محمد بن عبد الله الخ.. وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي فأنا خيركم نسباً وخيركم أباً »[1].

وأخرى كان يقول ـ وقد أقدم في المعركة[2] ـ : « أنا النبي لا كذب.. أنا ابن عبد المطلب »[3].

نسب لجده لا لأبيه لشهرته به وللتعريف والتذكير فيما أخبرهم به الكهنة قبل ميلاده، وأنه يظهر من بني عبد المطلب نبي، فذكرهم بأنه ذلك المقول عنه لاللفخر ولا للعصبية.[4]

وقد قال ﷺ: « أنا سيد ولد آدم ولافخر، وبيدي لواء الحمد ولافخر، وما من نبي آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول شافع وأول مشفع ولافخر»[5].

* * * *

---

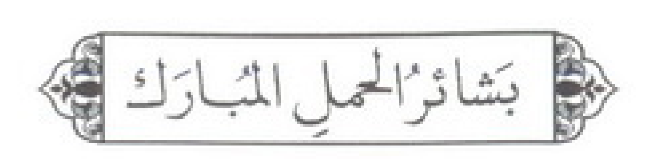
[1] البيهقي في الدلائل عن أنس ورواه الحاكم.

[2] وذلك في معركة حنين.

[3] أورده البخاري في المغازي برقم ٥٤، والجهاد برقم ٥٢، وذكره الإمام أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح .

[4] مسند الإمام أحمد والترمذي والنسائي عن البراء بن عازب .

[5] مسند الإمام أحمد والترمذي عن أبي سعيد وقال حديث حسن .



وحملت السيدة آمنة بنت وهب الزهرية أكرم جنين خلقه الله تعالى، وعندما حملت توالت عليها البشائر تبشرها بفضل الله تعالى عليها بالكرامة العظيمة التي أكرمها الله بها، وهي أن الله سبحانه وتعالى اختارها لتكون أماً لرسول الله ﷺ.

وروى ابن سعد عن يزيد بن عبد الله بن وهب بن زمعة عن عمه، والبيهقي عن ابن إسحاق رحمهما الله تعالى قال: كنا نسمع أن رسول الله ﷺ لما حملت به آمنة كانت تقول: ما شعرت أني حملت به ولا وجدت ثقله كما تجد النساء، إلا أنني أنكرت رفع حيضتي، وربما ترفع عني وتعود، وأتاني آت وأنا بين النائم واليقظان فقال لي: هل شعرت أنك حملت؟ فأقول: ما أدري، فقال: إنك حملت بسيد هذه الأمة ونبيها، وذلك يوم الإثنين، وآية ذلك أنه يخرج معه نور يملأ قصور بصرى من أرض الشام، فإذا وضع فسميه محمداً، قالت: فكان ذلك مما يقّن عندي الحمل، ثم أمهلني حتى إذا دنت ولادتي أتاني ذلك فقال قولي:

أعيذه بالواحد من شر كل حاسد

ثم سميه " محمداً " ورأى جده مثل هذه الرؤيا، فوافق جده حين أخبرته.[1] قالت: فكنت أقول ذلك، فذكرته لنسائي فقلن: تعلقي

---

[1] كما روى ابن إسحق، ،انظر ابن هشام:١/ ١٨٠.

عليك حديداً وفي عضديك وفي عنقك، ففعلت فلم يكن يترك علي إلا أياماً فأجده قد قطع، فكنت لا أتعلقه.

وروى البيهقي عن أبي جعفر محمد بن علي رضي الله تعالى عنهما قال: أمرت آمنة وهي حبلى برسول الله ﷺ أن تسميه أحمد.

وروى الحاكم وصححه والبيهقي عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا: يا رسول الله أخبرنا عن نفسك قال: « أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى، ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام »[1] وهذه رؤيا منامية.

وروى ابن سعد ورجاله ثقات قال ﷺ: « رأت أمي حين وضعتني سطع منها نور فضاءت له قصور بصرى » وهذه رؤية بصرية.

وقال الشيخ الصالحي الشامي مؤلف سبل الهدى والرشاد رحمه الله تعالى قوله (حين حملت به) هي رؤيا منام وقعت في الحمل، وأما ليلة المولد فرأت ذلك رؤية عين كما سيأتي[2].

وأخرج أحمد والبزار والطبراني والبيهقي عن العرباض بن سارية أن رسول الله ﷺ قال: « إني عبد الله وخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأخبركم عن ذلك: إني دعوة أبي ابراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي التي رأت، وكذلك أمهات المؤمنين يرين، وإن أم رسول الله حين وضعته نوراً أضاء له قصور الشام »[3].

[1] أخرجه ابن عساكر في التاريخ: ١/٣٩. الدر المنثور:١/١٣٩، والتيسير ١/٣٧٧.

[2] سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد صفحة ١/٣٢٩.

[3] اخرجه أحمد في المسند: ٤/١٢٧و١٢٨ والحاكم في المستدرك: ٢/٦٠٠

والحقيقة أن من ينظر بعمق في مسألة ولادة السيدة آمنة يجد أن ذلك قد حصل بعد يوم الفيل، أو في عام الفيل، وأنها جاءها المخاض في فجر يوم الإثنين من شهر ربيع الأول، ولم تكن معها غير جارتيها، وشعرت بنور يغمرها، وشعرت كأنما أحيطت بمجموعة من النساء بعثهن الله تعالى ليؤنسن وحشتها.

وجاءت في قضية الولادة روايات عدة عن سقوط بعض أجزاء من إيوان كسرى، وخمود نار فارس، وكيف ذكر بعض كهان اليهود لقومه عن بشائر ولادته ﷺ كما سيأتي معنا.

(وأسند الحافظ ابن سيد الناس اليعمري من طريق أبي بكر الخرائطي بسنده عن مخزوم بن هانيء المخزومي عن أبيه، وأتت له خمسون ومائة سنة، قال: " لما كانت ليلة ولد رسول الله ﷺ، أرتج إيوان كسرى، وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وخمدت نار فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، وغاصت بحيرة ساوة، ورأى الموبذان إبلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها "

فذكر لهم سطيح الكاهن فطلبوه على مشارف الشام، فعبر الرؤيا بدلائل المبعث وقضى مكانه.

وروى الحافظ ابن حجر الطرف الأول من حديث هانيء المخزومي في ترجمته بالإصابة من طريق ابن السكن بمثل إسناد الخرائطي.

وذكر «ياقوت» في (ساوة) حديث سطيح الكاهن في أعلام النبوة.[1]

وما أن وضعت السيدة آمنة حتى بعثت إلى جده تبشره، وقيل إنه كان في غار حراء يتحنث، فجاء وأخذه إلى الكعبة ودعا له، وطاف به الكعبة وهو يحمد الله:

الحمد لله الذي أعطاني ... هذا الغلام الطيب الأردان

قد ساد في المهد على الغلمان ... أعيذه بالبيت ذي الأركان

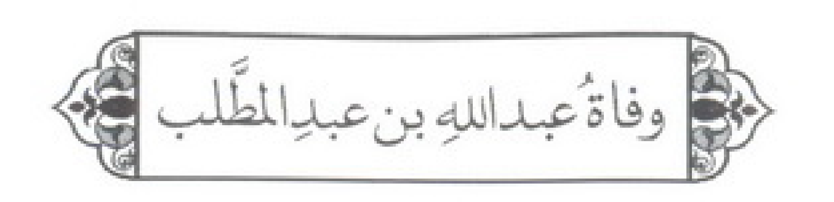
حتى أراه بالغ البنيان ... أعيذه من شر ذي شنآن

من حاسد مضطرب العنان

وهناك نقطة مهمة أود لفت النظر إليها وهي أننا عندما نقرأ سيرة المولد النبوي الشريف ونحتفي به إنما نقف احتراما للحظة الولادة، وقد ذكر ابن حجر في الفتاوى الحديثية وجوب القيام.

والخلاصة أن كثيرا من الناس يجهلون لماذا يقف من يحتفون بالسيرة النبوية ويقرؤون سيرة مولد رسول الله ﷺ، فعندما تأتي اللحظة الخاصة بلحظة الولادة إنما يقفون احتراما لهذه اللحظة، وتقديراً لمولد رسول الله ﷺ، وليس لأنه يدخل في تلك اللحظة، ولايجوز أن يكذب أحد على رسول الله، فيقول دخل في تلك اللحظة وهو لم يره ولم يشاهده، وإنما من الواجب أن يعرف الجميع أن الوقوف هو احترام وتقدير للحظة الولادة التي أشرق فيها هذا النور على العالمين.

(1) تراجم سيدات بيت النبوة رضي الله عنهن، الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، ص ١٣٥، دار البيان للتراث.الطبعة الأولى.



قدر لرسول الله ﷺ أن يعيش يتيماً ليتولى الله تبارك وتعالى رعايته وحده كما في قوله الكريم: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾[1]، أي ألم يعلمك الله يتيماً حين مات أبوك، ولم يخلف لك مالاً ولا مأوى، فجعل لك مأوى تأوي إليه، فآواك إلى جدك عبد المطلب ثم إلى عمك أبي طالب وكفاك المؤونة.

فـ (يجدك) من الوجود الذي هو معنى العلم، وقيل لجعفر هو من قولهم درة يتيمة، والمعنى ألم يجدك واحداً في قريش عديم النظير فآواك إليه وأيدك وشرفك بنبوته واصطفاك لرسالته[2].

ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول: «أدبني ربي فأحسن تأديبي»[3] وفي رواية عند ابن عساكر عن عبد الرحمن بن محمد الزهري عن أبيه عن جده «أدبني ربي ونشأت في بني سعد»[4].

نقل أبو حيان في تفسيره البحر وغيره عن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه قال: إنما يتم رسول الله ﷺ ليكون المربي له والموجه والمهذب واحداً هو الله، وحتى يعرف فضل اليتامى، فسيد الوجود يتيم.

(1) سورة الضحى، الآية: ٦.

(2) تفسير سورة الضحى.

(3) رواه ابن السمعاني في أدب الإملاء عن ابن مسعود.

(4) جامع الأحاديث للسيوطي ١/ ١٧٠.

وأيضاً لينظر ﷺ إذا وصل إلى مدارج عزه إلى أوائل أمره ليعلم أن العزيز من أعزه الله تعالى، وأن قوته ليست من الآباء والأمهات ولا من المال، بل قوته من الله تعالى، وأيضاً ليرحم الفقير والأيتام.

قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى: ثم لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب أن توفي، وأم رسول الله ﷺ حاملة به.

وروى ابن سعد عن محمد بن كعب، وعن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة رحمهما الله تعالى قالا: خرج عبد الله إلى الشام إلى غزة في عير من عيرات قريش يحملون تجارات، ففرغوا من تجاراتهم، ثم انصرفوا فمروا بالمدينة، وعبد الله يومئذ مريض، فقال: أتخلف عند أخوالي بني عدي بن النجار، فأقام عندهم مريضاً شهراً، ومضى أصحابه فقدموا مكة، فسألهم عبد المطلب عن ابنه فقالوا: خلفناه عند أخواله بني عدي بن النجار مريضاً، فبعث عبد المطلب أكبر ولده الحارث فوجده قد توفي ودفن في دار النابغة، فأخبره فوجد عليه عبد المطلب وعماته وإخوته وأخواته وجداً شديداً، ورسول الله ﷺ حمل، ولعبد الله بن عبد المطلب يوم توفي خمس وعشرون سنة [1].

هكذا فجعت السيدة آمنة بوفاة زوجها الحبيب، فما أشد الفراق على قلبها، وما أقسى ما كانت تعانيه من الشجن الحارق المتغلغل في حناياها، لقد مضى وانتقل إلى الدار الآخرة وسلك سبيل الذين مضوا قبله، فبكته آمنة بدموع حرى ورثته بهذه الأبيات:

---

[1] سبل الهدى والرشاد ١/٣٣١.

عَفَا جَانبُ البَطحاءِ مِنْ زَينِ هَاشِمٍ ... وَجاوَرَ لحداً خَارجاً في الغَمَاغِمِ

دَعَتهُ المَنَايَا بَغتةً فأجَابَها ... وَماتَركت فِي النَّاسِ مثلَ ابن هاشِمِ

عَشيةَ رَاحُوا يَحملُونَ سَرِيرَهُ ... يُعاوِرهُ أصحَابُهُ في التزاحُمِ

فإنْ يَكُ غَالتهُ المَنَايَا وَرَيبهَا ... فَقد كَانَ مِعطَاء كَثيرَ التَراحُمِ [1]

رحل الغالي وخلف لوعة وحرقة تاركاً أرملة شابة لا يزال خضاب العرس في يديها، لم يمتع زين الشباب بشبابه، ولم يهنأ مع عروسه إلا أياماً، لكن رحمة الله ورأفته بعباده أنزلت السكينة على قلب آمنة التي روعت بنار الفراق، فكانت تأنس لما تسمع من هتاف يبشرها بأعظم بشرى [2].

وهكذا فارقت الحبيب والرفيق، وامتثلت لأمر الله تعالى، وعكفت تربي هذا الطفل الكريم الطيب الأردان الذي اختاره الله ليكون سيد الأكوان.

* * * *

---

[1] سبل الهدى والرشاد ١/٣٣٢.

[2] إنها فاطمة الزهراء، للمؤلف صـ٤٥.

وأبت الأقدار التي تعلو بحكمتها على مدارك العقول

على عبد الله الذبيح

أن يرجع من سفرته ليشهد آمنة الزوجة الحبيبة

وقد تنفس حملها عن أكرم مولود

يشهد الحياة أول ما يشهدها يتيماً

❋ ❋ ❋

وهكذا مات عبد الله بن عبد المطلب في هذه الرحلة

وهو عائد من الشام ماراً بأخوال أبيه عبد المطلب

بني عدي بن النجار

وهكذا دفن عبد الله أبو الرسول ﷺ

بيثرب مدينة الأسرار والأنوار،

ومأوى المهاجرين والأنصار

ومهبط الوحي ومنزل الأحرار

ومثوى الكملة الأبرار

❋ ❋ ❋

ولأمر ما كانت المدينة المنورة مرقد عبد الله

أبي محمد رسول الله ﷺ

قبل أن يشهد الوجود طلعة محمد بن عبد الله ﷺ

ولأمر ما كانت من بعده مثوى محمد ﷺ

ولله تعالى حكمة فوق مدارك العقول والأفهام.*

* محمد رسول الله - محمد الصادق عرجون



(دار التابعة من بني النجار)

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

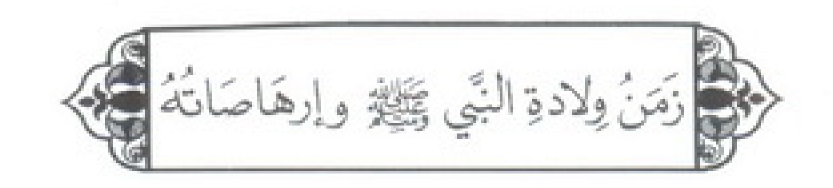
هنا وقف رسول الله ﷺ بعد هجرته

وقال يذكر زيارته لدار أخواله بني عدي بن النجار :

((كنت ألاعب أنيسة ، جارية من الأنصار على الأطَمِ وكنت مع غلمان من أخوالي نُطَـيِّرُ طائراً كان يقع عليه))

ونظر إلى الدار وقال :

((هنا نزلت أمي ... وفي هذه الدار قبر أبي عبد الله بن عبد المطلب وأحسنت العوم في بئر عدي بن النجار))



لاشك أن هناك معجزات ومبشرات ودلائل على أن النبي ﷺ سوف يولد، وعلى عظم شأنه ورفعة منزلته، و كانت هناك ماتسمى بالإرهاصات، الإرهاص: ما يظهر من الخوارق عن النبي ﷺ قبل ظهوره كالنور الذي كان في جبين آباء نبينا ﷺ.

والإرهاصات: هي المقدمات والعلامات المؤذنة بقرب حدوث الأمر قبل وقوعه فعلياً.

والإرهاص أيضاً إحداث أمر خارق للعادة دال على بعثة نبي قبل بعثته.

وقالوا في الإرهاص أيضاً: هو ما يصدر من النبي ﷺ من أمر خارق للعادة، قيل: إنها من قبيل الكرامات فإن الأنبياء قبل النبوة لا يقصرون عن درجة الأولياء [١].

وكانت حادثة الفيل الإرهاص الكبير لمولده الشريف صلى الله عليه وآله وسلم.

فقد أخرج الترمذي في سننه عن المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخرمة عن أبيه عن جده قال: «ولدت أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل».

وقد أنزل الله بعد ذلك في القرآن الكريم سورة الفيل التي قال فيها: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي

(١) التعريفات للجرجاني.

تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ (٥)﴾ ففي العام الذي ولد فيه النبي ﷺ أهلك الله أصحاب الفيل الذين أرادوا هدم بيته الحرام، ثم أنزل على رسوله سيدنا محمد ﷺ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ أي ألم تعلم وتخبر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل؟ والاستفهام للتقرير والتعظيم لما حدث والخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام ويراد به العموم، ومعناه قد رأيتم ذلك وعرفتم موضع منتي عليكم.

وقصة أصحاب الفيل كانت إرهاصاً وتوطئة لمولده ﷺ، ولما نزلت هذه السورة وتلاها عليهم النبي ﷺ كان في المشركين من أهل مكة عدد كبير ممن أدرك أحداثها.

فالمراد تذكيرهم بما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله تعالى وقدرته وعزته وحماية بيته، وتعظيم حرمه ، وتعجيب من كفر المشركين الذين شاهدوا هذه العظمة من آيات الله تعالى، كما أن فيها تثبيتاً للنبي ﷺ وهو يواجه أذى المشركين وعنادهم، فعنايته تعالى بنبيه عليه الصلاة والسلام، وعنايته ببيته الحرام أقوى وأتم من عنايته بأي كائن آخر، فكأنه تعالى قال: أنا الذي فعلت ما فعلت بأصحاب الفيل تعظيماً لك وحماية للبيت الحرام وتشريفاً لقدومك، وإذ قد نصرتك قبل قدومك فكيف أتركك بعد ظهورك؟

وقصة أصحاب الفيل باختصار أن أبرهة الحبشي الذي كان يحكم اليمن في ذلك الوقت بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس، ليصرف إليها الحجاج عن بيت الله الحرام، فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلاً، أي تغوط فيها، فأغضب أبرهة ذلك وحلف ليهدمن الكعبة،

وخرج بجيش كبير ومعه فيل قوي، ولما وصل إلى أول أرض الحرم تهيأ للدخول وعبأ جيشه وقدم الفيل فبرك ولم يتزحزح، وكانوا يقيمونه ويوجهونه لكل جهة، فيتوجه إلا جهة الكعبة، ثم أرسل الله طيراً تحمل حجارة من سجيل فرمتهم بها فهلكوا جميعاً، وكان لموت أبرهة أبشع صورة وأقبح منظر.

وفي الحديث الشريف أن النبي ﷺ لما كان في الحديبية بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال الناس: حل حل، فألحت فقالوا: خلأت القصواء ـ أي حرنت ـ فقال النبي ﷺ: « ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل ـ ثم قال ـ: والذي نفسي بيده لا يسألونني خطة يعظمون بها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها ثم زجرها فوثبت »[1].

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ أي ألم يجعل مكرهم وسعيهم في تخريب الكعبة المشرفة في تضييع وإبطال، فلم يصلوا إلى ما أرادوا بل رجع كيدهم عليهم وهلكوا.

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ أي جماعات جماعات من ههنا وههنا.

﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ أي من طين متحجر فهي كالحجارة التي أنزلها الله على قوم لوط عندما أهلكهم، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾[2].

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب: ٢٧٣١.

[2] سورة هود، الآية: ٨٢.

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ أي جعلهم كتبن أكلته الدواب ثم راثته، شبه تعالى تقطع أجسادهم وتفرقها بتفرق أجزاء الروث.

قال ابن إسحاق يحدد تاريخ مولده الشريف عليه الصلاة والسلام: ولد رسول الله ﷺ يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول عام الفيل[1].

وقال محقق السيرة: وذكروا أن الفيل جاء مكة في المحرم وأنه ﷺ ولد بعد مجيء الفيل بخمسين يوماً، وهو الأكثر والأشهر، وأهل الحساب يقولون: وافق مولده من الشهور الشمسية نيسان، فكان لعشرين مضت منه، وولد بالغفر[2] من المنازل، وهو مولد النبيين.. وولد بالشعب وقيل بالدار التي عند الصفا، وكانت بعد لمحمد بن يوسف أخي الحجاج، ثم بنتها زبيدةُ زوجة هارون الرشيد مسجداً حين حجت.

وهذا ما أكده ابن حجر رحمه الله بقوله: المشهور عند الجمهور أنه ولد في شهر ربيع الأول وأنه بعث في شهر رمضان، فعلى هذا يكون له حين بعث أربعون سنة ونصف أو تسع وثلاثون ونصف، فمن قال أربعون ألغى الكسر أو جبر، لكن قال المسعودي وابن عبد البر: إنه بعث في شهر ربيع الأول، فعلى هذا يكون له أربعون سنة سواء[3].

---

[1] سيرة ابن هشام ١٤٦/١.

[2] مطلع الغفر في الربيع، والغفر منزلة من المنازل الفلكية.

[3] فتح الباري ٥٧٠/٦.

ولكن يلاحظ ـ كما ورد في حديث بدء الوحي في البخاري ـ أنه بدئ بالرؤيا الصالحة مدة ستة أشهر. ولهذا قال ﷺ: "الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة ومدة الوحي ثلاث وعشرون سنة، منها نصف سنة بالرؤيا وهي تساوي ١/٤٦ من مدة الوحي.

وهكذا نرى أنه ﷺ ولد يوم الإثنين، وبعث يوم الإثنين، وتوفي يوم الإثنين عليه أفضل الصلاة والسلام.

* * * * *




آياتُ ومُعجزاتُ

ظهرت آيات كثيرة عند مولده ﷺ تدل على نبوته ورسالته.

قال القاضي عياض رحمه الله في الشفا: ومن ذلك ما ظهر من الآيات عند مولده وما حكته أمه، وما حكاه من حضره من العجائب، وكونه رافعاً رأسه عندما وضعته شاخصاً ببصره إلى السماء[١]، وما رأته أمه من النور الذي خرج معه عند ولادته حتى رؤيت منه قصور بصري، وما رأته إذ ذاك أم عثمان بن أبي العاص الثقفي من تدلي النجوم، وظهور النور عند ولادته حتى ما ننظر إلا النور، وقول الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف: لما نزل ﷺ على يدي فاستهل أي عطس فسمعت قائلاً يقول: رحمك الله، وأضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت إلى قصور الروم[٢].

وروى ابن جرير في تاريخه والبيهقي وأبو نعيم، كلاهما في الدلائل، والخرائطي عن مخزوم بن هانئ عن أبيه قال: لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ ارتج فيها إيوان كسرى، وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، وغاضت بحيرة ساوة، ورأى الموبذان إبلا صعاباً تقود خيلاً عراباً قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادهم، فلما أصبح كسرى أفزعه

(١) رواه البيهقي عن الزهري مرسلاً.

(٢) رواه أبو نعيم في الدلائل عن ابنها عبد الرحمن بن عوف، وانظر شرح الشفا ٣/٤١٦.

ذلك وتصبر عليه تشجعاً، ثم رأى أن لا يدخر ذلك عن وزرائه ومرازبته حين عيل صبره، فجمعهم ولبس تاج ملكه وقعد على سريره، ثم بعث إليهم، فلما اجتمعوا عنده قال: تدرون فيم بعثت؟ قالوا: لا إلا أن تخبرنا بذلك، فبينما هم كذلك إذ أتاه كتاب بخمود نار فارس، فازداد غماً إلى غمه، ثم أخبرهم بما هاله، فقال الموبذان: وأنا أصلح الله الملك قد رأيت في هذه الليلة، وقص عليهم رؤياه في الإبل، فقال: أي شيء يكون هذا يا موبذان؟ وكان أعلمهم في أنفسهم، قال: حدث يكون من ناحية العرب، فكتب كسرى عند ذلك: من ملك الملوك كسرى إلى النعمان بن المنذر: أما بعد فوجه إلي عالماً لما أريد أن أسأله عنه.

فوجه إليه بعبد المسيح بن عمرو بن حسان بن قيلة الغساني، فلما قدم عليه قال: ألك علم بما أريد أن أسألك عنه؟ قال: يسألني الملك أو يخبرني الملك، فإن كان عندي علم منه أخبرتك، وإلا دللتك على من يعلمه، قال: فأخبره، فقال: علم ذلك عند خال لي يسكن مشارف الشام يقال له سطيح، قال: فاذهب إليه فاسأله وائتني بتأويل ما عنده، فنهض عبد المسيح حتى قدم على سطيح ـ وقد أشفى على الموت ـ فسلم عليه وحياه، فلم يحر جواباً، فأنشأ عبد المسيح يقول:
أصم أم يسمع غطريف اليمن ... في أبيات ذكرها.

فلما سمع سطيح كلامه فتح عينيه ثم قال: عبد المسيح على جمل مشيح، أقبل إلى سطيح، وقد أوفى على الضريح، بعثك ملك بني ساسان، لارتجاس الإيوان وخمود النيران، ورؤيا الموبذان، رأى إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً، قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها، يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة، وظهر صاحب الهراوة، وفاض وادي

سماوة، وغاضت بحيرة ساوة، فليس الشام لسطيح شاماً، يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات، وكل ما هو آت آت، ثم قضى سطيح مكانه، فأتى عبد المسيح إلى كسرى فأخبره، فقال: إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكاً كانت أمور وأمور، فملك منهم عشرة في أربع سنين، وملك الباقون إلى خلافة عثمان رضي الله عنه.

ورحم الله الإمام البوصيري حيث قال:

أبان مولده عن طيب عنصره   يا طيب مبتدأ منه ومختتم
يوم تفرس فيه الفرس أنهم   قد أنذروا بحلول البؤس والنقم
وبات إيوان كسرى وهو منصدع   كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم
والنار خامدة الأنفاس من أسف   عليه والنهر ساه العين منسدم
وساء ساوة أن غاضت بحيرتها   ورد واردها بالغيظ حين ظمي
كأن بالنار ما بالماء من بلل   حزناً وبالماء ما بالنار من ضرم
والجن تهتف والأنوار ساطعة   والحق يظهر من معنى ومن كلم
عموا وصموا فإعلام البشائر لم   يسمع وبارقة الإنذار لم تشم
من بعد ما أخبر الأقوام كاهنهم   بأن دينهم المعوج لن يقم
من بعد ما عاينوا بالأفق من شهب   منقضة فوق ما في الأرض من صنم
حتى غدا عن طريق الحق منهزم   من الشياطين يقفو إثر منهزم

وقال رحمه الله أيضاً في قصيدته الهمزية: ـ

ومحيا كالشمس منك مضيء   أسفرت عنه ليلة غراء
ليلة المولد الذي كان للد   ين سرور بيومه وازدهاء

وتوالت بشرى الهواتف أن قد ولد المصطفى وحق الهناء[1]

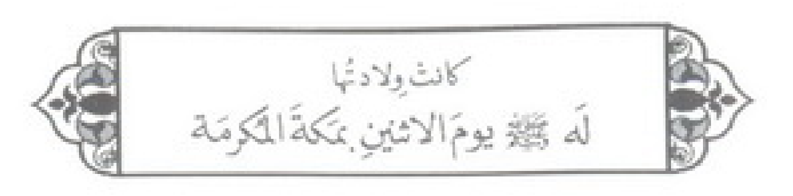
وتداعى إيوان كسرى ولولا آية منك ماتداعى البناء

وغدا كل بيت نار وفيه كربة من خمودها وبلاء

وعيون للفرس غارت فهل كان لنيرانهم بها إطفاء

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(1) سبل الهدى والرشاد صفحة ١/٣٥٥.



كانت ولادتها له ﷺ يوم الاثنين بمكة المكرمة

ولد صلى الله عليه وآله وسلم يوم الإثنين، ففي صحيح مسلم عن أبي قتادة أن أعرابياً قال: يا رسول الله ما تقول في صوم يوم الإثنين؟ فقال: « ذاك يوم ولدت فيه أو أنزل علي فيه ».

وروى الإمام أحمد: عن ابن عباس قال: ولد رسول الله ﷺ يوم الإثنين، واستنبئ يوم الإثنين، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الإثنين، وقدم المدينة يوم الإثنين، وتوفي يوم الإثنين.

وهذا ما لا خلاف فيه أنه ﷺ ولد يوم الإثنين.

ثم الجمهور على أن ذلك كان في شهر ربيع الأول، فقيل: لليلتين خلتا منه، قاله ابن عبد البر في الاستيعاب ورواه الواقدي عن أبي معشر نجيح بن عبد الرحمن المدني.

وقيل لاثنتي عشرة خلت منه، نص عليه ابن إسحاق، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن جابر وابن عباس أنهما قالا: ولد رسول الله ﷺ عام الفيل يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول، وفيه بعث، وفيه عرج به إلى السماء، وفيه هاجر، وفيه مات.

وهذا هو المشهور عند الجمهور والله أعلم[1].

ومن المعلوم أن الفيل جاء مكة في المحرم، وأنه ﷺ ولد بعد مجيء الفيل بخمسين يوماً، وهو الأكثر والأشهر، وأهل الحساب

(1) السيرة النبوية لابن كثير ١/١٩٩.

يقولون: وافق مولده من الشهور الشمسية نيسان، فكان لعشرين مضت منه.

وولد بالشعب، وقيل بالدار التي عند الصفا، وكانت بعد لمحمد ابن يوسف أخي الحجاج، ثم بنتها زبيدة مسجداً حين حجت[1].

ثم هدم وأصبح سوقاً، وهو سوق الليل، وهو شعب علي، قد بنيت فيه عمارة لطيفة - بناها على حسابه الخاص أمين العاصمة الأسبق الشيخ عباس بن يوسف القطان رحمه الله - وجعلها مكتبة عامة يتردد عليها العلماء[2].

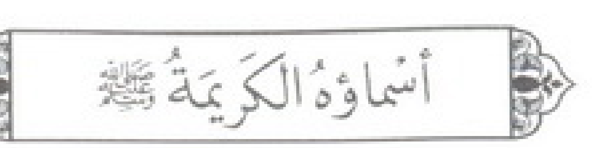
❁ ❁ ❁ ❁ ❁



---

[1] انظر هامش السيرة النبوية لابن هشام ١/١٤٦.

[2] انظر كتاب: " التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ".



أسماؤه الكريمة ﷺ

سماه الله عز وجل في القرآن الكريم باسمين كريمين هما: محمد، وأحمد، قال سبحانه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾[1]،

وقال أيضاً في صدر السورة الكريمة التي سميت باسمه: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾[2]،

وقال أيضاً: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[3]، وقال أيضاً: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾[4].

وسيأتي معنا في بشرى عيسى عليه السلام أن الله تعالى سماه أحمد، حكى ذلك عيسى عليه السلام عن رب العزة سبحانه.

---

[1] سورة الفتح، الآية: ٢٩.

[2] سورة محمد، الآيات: ١-٢.

[3] سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

[4] سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

وذكر النبي ﷺ في السنة الصحيحة أن له أسماء أخرى، ففي الحديث الشريف عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب »[1].

أورد ذلك الإمام البخاري في صحيحه في باب خاص قال فيه: باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، وقول الله عز وجل في الفتح ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾، وقوله في سورة الصف على لسان سيدنا عيسى عليه السلام ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾.

قال ابن حجر رحمه الله كأنه يشير إلى أن هذين الاسمين أشهر أسمائه، وأشهرهما محمد، وقد تكرر في القرآن، وأما أحمد فذكر فيه حكاية عن قول عيسى عليه السلام، فأما محمد فمن باب التفعيل للمبالغة، وأما أحمد فمن باب التفضيل، وقيل سمي أحمد لأنه علم منقول من صفة وهي أفعل التفضيل ومعناه أحمد الحامدين، وسبب ذلك ما ثبت في الصحيح أنه يفتح عليه في المقام المحمود بمحامد لم يفتح بها على أحد قبله، وقيل الأنبياء حمادون وهو أحمدهم، أي أكثرهم حمداً أو أعظمهم في صفة الحمد، وأما محمد فهو منقول من صفة الحمد أيضاً، وهو بمعنى محمود، وفيه معنى المبالغة، وقد أخرج المصنف في التاريخ الصغير من طريق على بن زيد قال: كان أبو طالب يقول:

[1] صحيح البخاري في المناقب رقم ٣٥٣٢.

وشَقَّ لَهُ من اسمهِ لِيُجِلَّهُ ... فذو العرشِ محمود وهذا محمدٌ

والمحمد الذي حمد مرة بعد مرة كالممدوح، قال الأعشى:

إليكَ أَبَيْتَ اللعنَ كانَ وَجِيفُها ... إلى الماجدِ القَرْمِ الجوادِ المحمد

أي الذي حمد مرة بعد مرة، أو الذي تكاملت فيه الخصال المحمودة.

قال عياض: كان رسول الله ﷺ أحمد قبل أن يكون محمداً كما وقع في الوجود، لأن تسميته أحمد وقعت في الكتب السالفة، وتسميته محمداً وقعت في القرآن العظيم، وذلك أنه حمد ربه قبل أن يحمده الناس، وكذلك في الآخرة يحمد ربه فيشفعه فيحمده الناس، وقد خص بسورة الحمد وبلواء الحمد وبالمقام المحمود، وشرع له الحمد بعد الأكل وبعد الشرب وبعد الدعاء وبعد القدوم من السفر، وسميت أمته الحمادين، فجمعت له معاني الحمد وأنواعه[1].

ولا شك أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى بها، فكما شرفه الله تعالى بالأسماء الكريمة التي خصه بها، كذلك شرفه بما فيها من المعاني الطيبة السامية التي مر معنا ذكر بعض معانيها، وقد ورد أن أحب الأسماء إلى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن، وإنما كانت أحب إلى الله لأنها تضمنت ما هو وصف واجب لله تعالى وما هو وصف للإنسان وواجب له وهو العبودية، ثم أضيف العبد إلى الرب إضافة حقيقية فصدقت أفراد هذه الأسماء وشرفت بهذا التركيب فحصلت لها هذه الفضيلة، وسيأتي معنا أن الله تعالى سمى النبي ﷺ بذلك ووصفه بصفة العبودية في عدد من الآيات القرآنية الكريمة.

[1] فتح الباري ٦/٥٥٥.



كُنيَتُه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ

اشتهرت الكنى عند العرب حتى ربما غلبت على الأسماء كأبي طالب وأبي لهب وغيرهما، ويكون للواحد كنية واحدة فأكثر، وقد يشتهر باسمه وكنيته جميعا، فالاسم والكنية واللقب يجمعها العَلَم بفتحتين، وتتغاير بأن اللقب ما أشعر بمدح أو ذم والكنية ما صدرت بأب أو أم، وما عدا ذلك فهو اسم[1].

وكان النبي ﷺ يكنى أبا القاسم لولده القاسم، وكان أكبر أولاده، واختلف هل مات قبل البعثة أو بعدها.

وقد ولد له إبراهيم في المدينة المنورة من السيدة مارية القبطية كما سيأتي معنا.

وفي حديث أنس أن جبريل قال للنبي ﷺ: «السلام عليك يا أبا إبراهيم».

وفي الحديث عن أنس رضي الله عنه قال كان النبي ﷺ في السوق، فقال رجل: يا أبا القاسم ـ يعني ينادي رجلا آخر كنيته أبو القاسم ـ فالتفت النبي ﷺ. فقال الرجل: ما أردتك. فقال « تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي ».

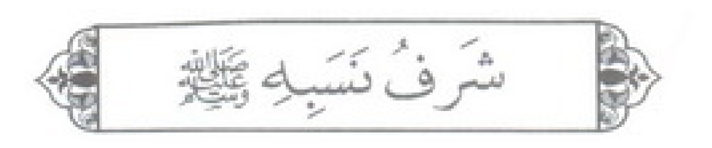
[1] فتح الباري ٦/ ٥٦٠.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي »[1].

وقد اختلف في جواز التكني بكنيته ﷺ، فالمشهور عن الشافعي المنع على ظاهر هذه الأحاديث، فالنص واضح بالنهي عن التكني بكنيته ﷺ.

* * * *

[1] صحيح البخاري: كتاب المناقب: رقم ٣٥٣٧-٣٥٣٩.



شَرَفُ نَسَبِهِ ﷺ

النبي صلى الله عليه وآله وسلم نخبة بني هاشم وخيارهم، وسلالة قريش وصميمها، وأشرف العرب وأعزهم نفراً من قبل أبيه وأمه..

قال القاضي عياض في الشفا: وأما شرف نسبه وكرم بلده ومنشؤه، فمما لا يحتاج إلى إقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفي منه، فإنه نخبة بني هاشم وسلالة قريش وصميمها، وأشرف العرب وأعزهم نفراً من قبل أبيه وأمه، ومن أهل مكة، من أكرم بلاد الله على الله وعلى عباده[1].

ففي الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت من القرن الذي كنت منه »[2] وعن العباس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: « إن الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم من خير قرنهم، ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة، ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً »[3].

---

[1] الشفا للقاضي عياض: ١/١٨٠

[2] صحيح مسلم

[3] رواه البيهقي في دلائل النبوة والترمذي وحسنه.

وعن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم[1].

وكان صلى الله عليه وآله وسلم ينتسب إلى جده عبد المطلب كما سيأتي معنا، وفي الحديث عن غزوة حنين عن البراء بن عازب رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان يقول يوم حنين: « أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب »[2].

وسبب انتسابه عليه الصلاة والسلام إلى جده عبد المطلب دون أبيه عبد الله فكأنها لشهرة عبد المطلب بين الناس لما رزق من نباهة الذكر وطول العمر، بخلاف عبد الله فإنه مات شاباً، ولهذا كان كثير من الناس يدعونه: ابن عبد المطلب كما قال ضمام بن ثعلبة لما قدم على النبي ﷺ: أيكم ابن عبد المطلب؟ وقيل لأنه كان اشتهر بين الناس أنه يخرج من ذرية عبد المطلب رجل يدعو إلى الله ويهدي الله الخلق على يديه ويكون خاتم الأنبياء، فانتسب إليه ليتذكر ذلك من كان يعرفه، وقد اشتهر ذلك بينهم[3].

ويمتد نسبه الشريف ﷺ إلى النضر بن كنانة ففي الحديث عن كليب بن وائل قال حدثتني ربيبة النبي ﷺ زينب ابنة أبي سلمة قال:

---

[1] أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح.

[2] صحيح البخاري في المغازي رقم ٤٣١٦.

[3] فتح الباري ٣١/٨.

قلت لها: أرأيت النبي ﷺ أكان من مضر؟ قالت فممن كان إلا من مضر، من بني النضر بن كنانة[1].

ومضر هو ابن نزار بن معد بن عدنان، والنسب ما بين عدنان إلى إسماعيل بن إبراهيم فالأسماء والعدد مختلف فيه، وأما من النبي ﷺ إلى عدنان فمتفق عليه.

قال ابن سعد في الطبقات: حدثنا هشام بن الكلبي قال: علمني أبي وأنا غلام نسب النبي ﷺ فقال: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، وهو شيبة الحمد، ابن هاشم، واسمه عمرو بن عبد مناف، واسمه المغيرة بن قصي، واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر وإليه جماع قريش.. ومضر بضم الميم وفتح المعجمة يقال سمي بذلك لأنه كان مولعاً بشرب اللبن الماضر وهو الحامض، وفيه نظر لأنه يستدعي أنه كان له اسم غيره قبل أن يتصف بهذه الصفة، نعم يمكن أن يكون هذا اشتقاقه، ولا يلزم أن يكون متصفاً به حالة التسمية [2].

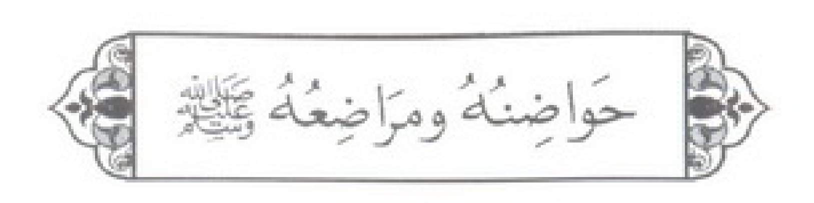
فإلى النضر تنتهي أنساب قريش لما مر معنا في حديث واثلة بن الأسقع مرفوعاً « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى من كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم »[3].

---

[1] صحيح البخاري في المناقب رقم ٣٤٩١.

[2] فتح الباري ٦/٥٢٩.

[3] رواه مسلم



كانت أم أيمن واسمها بركة تحضنه وقد ورثها عليه الصلاة والسلام عن أبيه، فلما كبر اعتقها وزوجها مولاه زيد بن حارثة، فولدت له أسامة بن زيد رضي الله عنهم، وأرضعته مع أمه عليه الصلاة والسلام مولاة عمه أبي لهب، ثويبة قبل حليمة السعدية.

أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث الزهري عن عروة ابن الزبير عن زينب بنت أم سلمة عن أم حبيبة بنت أبي سفيان، قالت: يا رسول الله انكح أختي بنت أبي سفيان، وزاد مسلم: عزة بنت أبي سفيان فقال رسول الله ﷺ: « أو تحبين ذلك؟ » قلت: نعم لست لك بمخلية وأحب من شاركني في خير أختي، فقال النبي ﷺ: « فإن ذلك لا يحل لي » قالت: فإنا نحدث أنك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة، وفي رواية: درة بنت أبي سلمة قال: « بنت أم سلمة؟ » قلت: نعم، قال: « إنها لو لم تكن ربيبتي في حجري لما حلت لي، إنها لابنة أخي من الرضاعة أرضعتني وأبا سلمة ثويبة، فلا تعرضن علي بناتكن ولا أخواتكن» .

زاد البخاري: قال عروة: وثويبة مولاة لأبي لهب، اعتقها فأرضعت رسول الله ﷺ.

فلما مات أبو لهب أريه بعض أهله بشر خيبة، فقالوا له: ماذا لقيت؟ فقال أبو لهب: لم ألق بعدكم خيراً، غير أني سقيت في هذه

بعتاقتي ثويبة، وأشار إلى النقرة التي بين الإبهام والتي تليها من الأصابع.

وذكر السهيلي وغيره: أن الرائي له هو أخوه العباس، وكان ذلك بعد سنة من وفاة أبي لهب بعد وقعة بدر، وفيه إن أبا لهب قال للعباس: إنه ليخفف علي في مثل يوم الإثنين، قالوا: لأنه لما بشرته ثويبة بميلاد ابن أخيه محمد بن عبد الله أعتقها من ساعته، فجوزي بذلك لذلك [1].

* * * * *

(١) السيرة النبوية لابن كثير ١/٢٢٤.. سبل الهدى والرشاد: ١/٣٧٦



كانت قريش ترسل أطفالها وهم في سن الرضاع إلى القبائل من هذيل ليكتسبوا صحة في أبدانهم، وفصاحة في ألسنتهم، وقدر الله تعالى للنبي عليه الصلاة والسلام أن تتشرف بإرضاعه حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية من بني سعد.

قال ابن إسحاق: فاسترضع له عليه الصلاة والسلام من حليمة بنت أبي ذؤيب، واسم أبي رسول الله ﷺ الذي أرضعته ـ يعني زوج حليمة ـ الحارث ابن عبد العزى ابن رفاعة بن ملان بن ناصرة بن سعد بن بكر بن هوازن.

وإخوته عليه الصلاة والسلام من الرضاعة: عبد الله بن الحارث، وأنيسة بن الحارث، وخدامة بنت الحارث، وهي الشيماء، وذكروا أنها كانت تحضن رسول الله ﷺ مع أمه إذ كان عندهم.

قال ابن إسحاق: وحدثني جهم بن أبي جهم ـ مولى لامرأة من بني تميم كانت عند الحارث بن حاطب، ويقال له مولى الحارث بن حاطب ـ قال: حدثني من سمع عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال: حدثت عن حليمة بنت الحارث أنها قالت: قدمت مكة في نسوة من بني سعد بن بكر يلتمسن بها الرضعاء، في سنة شهباء ـ مجدبة ـ فقدمت على أتان لي قمراء [1]، قد أذمت بالركب حتى شق عليهم

(١) القمراء التي في لونها بياض.

ضعفا وعجفا (هزالا) [1]، ومعي صبي لنا، وشارف لنا والله ما تبض بقطرة[2] وما نام ليلنا أجمع من صبينا الذي معنا، من بكائه من الجوع، ما في ثديي ما يغذيه، ولا في شارفنا ما يكفيه، ولكنا كنا نرجو الغيث والفرج.

فقدمنا مكة، فوالله ما علمت منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه إذا قيل إنه يتيم، تركناه وقلنا: ماذا عسى أن تصنع إلينا أمه وجده ؟ إنما نرجو المعروف من أبي الولد، فأما أمه فماذا عسى أن تصنع إلينا. فوالله ما بقي من صواحبي امرأة إلا أخذت رضيعاً غيري، فلما لم أجد غيره وأجمعن الانطلاق، قلت لزوجي الحارث بن عبد العزى: والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ليس معي رضيع، لأنطلقنَّ إلى ذلك اليتيم فلآخذنَّه، فقال: لا عليك أن تفعلي فعسى أن يجعل الله لنا فيه بركة، فذهبت فأخذته، فوالله ما أخذته إلا أني لم أجد غيره.

فما هو إلا أن أخذته فجئت به إلى رحلي، فأقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روى ثم شرب أخوه حتى روى، وقام صاحبي إلى شارفنا تلك فإذا إنها لحافل، فحلب فشرب وشربتُ حتى روينا، فبتنا بخير ليلة، فقال صاحبي حين أصبحنا: يا حليمة والله إني لأراك قد أخذت نسمة مباركة، ألم تري ما بتنا به الليلة من الخير والبركة حين أخذناه؟ فلم يزل الله عز وجل يزيدنا خيراً. قالت: إني لأرجو ذلك.

[1] أي أبطأت عليهم حبستهم. أعيت وتأخرت عن الجماعة

[2] أي ما ترشح.

ثم خرجنا راجعين إلى بلادنا. وركبت أتاني ـ حمارتي ـ وحملته عليها معي، فوالله لقطعت أتاني بالركب حتى ما يتعلق بها حمار، حتى إن صواحبي ليقلن: ويلك يا بنت أبي ذؤيب أربعي علينا، هذه أتانك التي خرجت عليها معنا؟ فأقول: نعم والله إنها لهي، فيقلن: والله إن لها لشأناً.

حتى قدمنا أرض بني سعد، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدب منها، فإن كانت غنمي لتسرح ثم تروح شباعاً لبناً فنحلب ما شئنا، ونشرب، ما حوالينا أو حولنا أحد تبض له شاة بقطرة لبن، وإن أغنامهم لتروح جياعاً، حتى إنهم ليقولون لرعاتهم أو لرعيانهم: ويحكم، انظروا حيث تسرح غنم بنت أبي ذؤيب فاسرحوا معهم، فيسرحون مع غنمي حيث تسرح، فتروح أغنامهم جياعاً ما فيها قطرة لبن، وتروح أغنامي شباعاً لبناً نحلب ما شئنا.

فلم يزل الله يرينا البركة نتعرفها حتى بلغ سنتين، فكان يشب شباباً لا تشبه الغلمان، فوالله ما بلغ السنتين حتى كان غلاماً جفراً[1] فقدمنا به على أمه ونحن أضن شيء به مما رأينا فيه من البركة، فلما رأته أمه قلت لها: دعيني نرجع بابننا هذه السنة الأخرى فإنا نخشى عليه وباء مكة، فوالله ما زلنا بها حتى قالت: نعم، فسرحته معنا فأقمنا به شهرين أو ثلاثة، فبينما هو خلف بيوتنا مع أخ له في الرضاعة في بهم لنا جاء أخوه ذلك يشتد، فقال: ذاك أخي القرشي جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقا بطنه، فخرجت أنا وأبوه نشتد نحوه، فنجده قائماً منتقعاً لونه، فاعتنقه أبوه وقال: يا بني ما شأنك؟

[1] الجفر: الغليظ.

قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بيض، أضجعاني وشقا بطني، ثم استخرجا منه شيئاً فطرحاه ثم رداه كما كان.

فرجعنا به معنا، فقال أبوه: يا حليمة لقد خشيت أن يكون ابني قد أصيب، فانطلقي بنا نرده إلى أهله قبل أن يظهر به ما نتخوف، قالت حليمة: فاحتملناه فلم ترع أمه إلا به، فقدمنا به عليها فقالت: ما ردكما به يا ظئر، فقد كنتما عليه حريصين؟ فقالا: لا والله إلا أنه الله قد أدى عنا وقضينا الذي علينا، وكنا نخشى الإتلاف والأحداث نرده إلى أهله، فقالت: ما ذاك بكما فاصدقاني شأنكما، فلم تدعنا حتى أخبرناها خبره، فقالت: أخشيتما عليه الشيطان؟ كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل، والله إنه لكائن لابني هذا شأن، ألا أخبركما خبره؟ قلنا: بلى، قالت: حملت به فما حملت حملاً قط أخف منه[1]، فأريت في النوم حين حملت به كأنه خرج مني نور أضاءت له قصور الشام، ثم وقع حين ولدته وقوعاً ما يقعه المولود، معتمداً على يديه رافعاً رأسه إلى السماء، فدعاه عنكما.

هذا الحديث رواه ابن كثير رحمه الله في كتابه البداية والنهاية في السيرة النبوية وقال عنه بعد ذلك: وهذا الحديث قد روي من طريق آخر، وهو من الأحاديث المشهورة المتداولة بين أهل السير والمغازي[2].

فلم تجد آمنة في حمله تعباً ولا ألماً ولا صعوبة، ولا في وضعه كذلك.

---

(1) ومرادها أن النساء ما حملن حملاً أخف من حمله.

(2) السيرة النبوية ١/٢٢٨.

ويؤيد ذلك حديث شق صدره الشريف عليه الصلاة والسلام عندما كان في بني سعد.

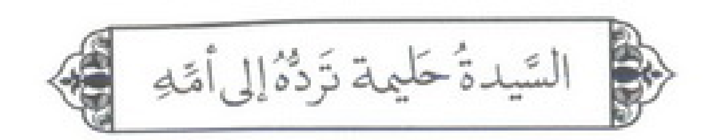
فقد روى الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، فغسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعني ظئره - فقالوا: إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون.

قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره، ولم يجد ألماً، ولا وصباً، ولاتعباً، ولا صعوبة[1].

* * * *

---

(1) صحيح مسلم في كتاب الإيمان رقم ١٦٢.



السَّيدةُ حَليمة تَردُّهُ إلى أمّهِ

كانت حليمة تحرص حرصاً شديداً على بقاء النبي ﷺ عندها بسبب ما رأت من البركة التي أكرمها الله بها، وكانت تزيره أمه كل سنة مرة وتطلب منها في كل مرة أن تتركه عندها فتقول لها: لو تركت بني عندي حتى يبلغ، فإني أخشى عليه وباء مكة، فلم تزل بها حتى ردته معها.

وبعدما حدث له ﷺ ما حدث من شق صدره الذي مر معنا، خافت عليه فردته إلى أمه، ومر معنا أيضاً أنها تحدثت رضي الله عنها عن ذلك فقالت: قال لي أبوه: يا حليمة لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب، فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به، قالت: فاحتملناه فقدمنا به على أمه، فقالت: ما أقدمك به يا ظئر وقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك؟ قالت فقلت: قد بلغ الله بابني وقضيت الذي علي، وتخوفت الأحداث عليه، فأديته إليك كما تحبين، قالت: ما هذا شأنك فاصدقيني خبرك، قالت: فلم تدعني حتى أخبرتها، قالت: أفتخوفت عليه الشيطان؟ قالت قلت: نعم، قالت: كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل، وإن لابني لشأناً، أفلا أخبرك خبره؟ قالت قلت: بلى، قالت: رأيت حين حملت به أنه خرج مني نور أضاء قصور بصري من أرض الشام، ثم حملت به فوالله ما

رأيت من حمل قط كان أخف ولا أيسر منه[1]، ووقع حين ولدته وإنه لواضع يديه بالأرض، رافع رأسه إلى السماء، دعيه عنك وانطلقي راشدة[2].

والوفاء كان من أخلاقه الكريمة صلى الله عليه وآله وسلم ولهذا حفظ النبي ﷺ للسيدة حليمة السعدية مالها من يد عليه في مدة رضاعه، مع أنها هي التي شرفت به وأكرمها الله تبارك وتعالى بما أكرمها به من سعة في رزقها ويسر في عيشها كما مر معنا، إذ حلت بركته عليه الصلاة والسلام على حليمة السعدية وأهلها وهو صغير، ثم عادت على هوازن بكاملهم فواضله حين أسرهم بعد وقعتهم، وذلك بعد فتح مكة بشهر، فذكروه برضاعه فيهم فأعتقهم وتحنن عليهم وأحسن إليهم.

قال محمد بن إسحاق في وقعة هوازن: عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كنا مع رسول الله ﷺ بحنين، فلما أصاب من أموالهم وسباياهم أدركه وفد هوازن بالجعرانة وقد أسلموا، فقالوا: يا رسول الله إنا أهل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك، فامنن علينا منَّ الله عليك، وقام خطيبهم زهير بن صرد فقال: يا رسول الله إن ما في الحظائر من السبايا لخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك، فلو أنا ملحنا ابن أبي شمر[3] أو النعمان بن المنذر، ثم

(1) قالت ذلك بسبب ما كانت تسمع من ثقل الحمل على النساء الحوامل.

(2) السيرة النبوية لابن هشام ١/١٥٣.

(3) يعني أرضعنا، وابن أبي شمر هو الحارث الغساني.

أصابنا منهما مثل الذي أصابنا منك رجونا عائدتهما وعطفهما، وأنت خير المكفولين ثم أنشد:

امنُنْ على نِسوة قدْ كنتَ ترضَعُها ... إذْ فُوكَ يملؤهُ مِن محضِها دُرَرُ

امنن على نسوة قد كنت ترضعها ... وإذ يزينُك ما تأتي وما تذرُ

وقال رسول الله ﷺ: « أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لله ولكم »، فقالت الأنصار: وما كان لنا فهو لله ولرسوله ﷺ.

وسيأتي أنه عليه الصلاة والسلام أطلق لهم الذرية، وكانوا ستة آلاف ما بين صبي وامرأة، وأعطاهم أنعاماً وأناسي كثيراً، حتى قال أبو الحسين بن فارس: فكان قيمة ما أطلق لهم يومئذ خمسمائة ألف ألف درهم.

فهذا كله من بركته العاجلة في الدنيا، فكيف ببركته على من اتبعه في الدار الآخرة[1]؟!

وهذا يؤكد أيضاً بركته على والدته بنجاتها يوم القيامة إن شاء الله تعالى.

وقال القاضي عياض رحمه الله في الشفا: ولما وردت حليمة السعدية على النبي ﷺ، بسط لها رداءه وقضى حاجتها، فلما توفي وفدت على أبي بكر وعمر، فصنعا لها مثل ذلك.

قال نور الدين القاري في شرح الشفا: روى ابن سعد عن عمرو ابن سعد بن أبي وقاص مرسلاً قال: لما وردت حليمة السعدية أي أمه من الرضاعة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، زائرة مسترفدة ـ وفي سيرة الدمياطي أن الواردة عليه إنما هي ابنتها الشيماء أخته من

(1) السيرة النبوية لابن كثير.

الرضاعة ـ بسط لها رداءه وقضى أي نفذ حاجتها رعاية لحرمة الرضاعة، وفي الحديث: « حسن العهد من الإيمان»[1].

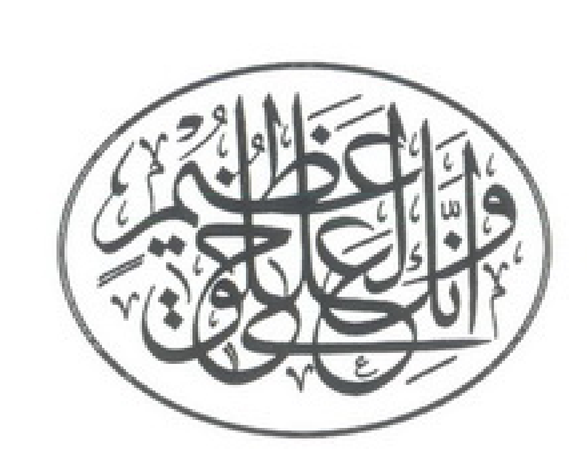
وهذا الحديث أخرجه الحاكم والبيهقي في الشعب عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت عجوز إلى النبي ﷺ فقال: «**كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟**» قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فلما خرجت قلت: يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ فقال: «**يا عائشة إنها كانت تأتينا زمان خديجة وإن حسن العهد من الإيمان**».

وقد قدم عليه أيضاً زوج حليمة والده رضاعاً فأسلم، فقد ذكره يونس ابن بكير في روايته فقال: حدثنا ابن إسحاق قال: حدثني والدي إسحاق بن يسار، عن رجال من بني سعد بن بكر قال: قدم الحارث بن عبد العزى أبو رسول الله ﷺ من الرضاعة على رسول الله ﷺ بمكة حين أنزل عليه القرآن، فقالت له قريش: ألا تسمع يا حار ما يقول ابنك هذا؟ فقال: وما يقول؟ قالوا: يزعم أن الله يبعث الناس بعد الموت، وأن لله دارين يعذب فيهما من عصاه، ويكرم فيهما من أطاعه، فقد شتت أمرنا وفرق جماعتنا، فأتاه فقال: أي بنيّ! ما لَكَ ولقومك؟؟ يشكونك ويزعمون أنك تقول: إن الناس يبعثون بعد الموت ثم يصيرون إلى جنة ونار؟ فقال رسول الله ﷺ: «**نعم أنا أزعم ذلك، ولو قد كان ذلك اليوم يا أبت لقد أخذت بيدك حتى أعرفك حديثك اليوم**» فأسلم الحارث بعد ذلك وحسن إسلامه، وكان يقول

(1) شرح الشفا ٣/٦٨٢.

حين أسلم: لو قد أخذ ابني بيدي فعرفني ما قال، لم يرسلني إن شاء الله حتى يدخلني الجنة[1].

*****

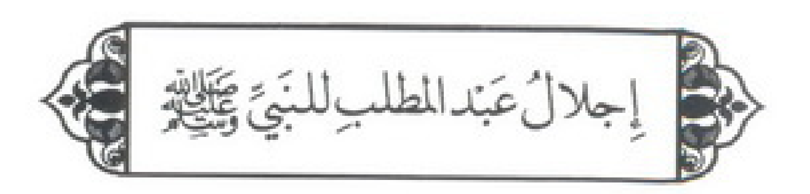


(1) هامش السيرة النبوية لابن هشام ١/١٤٩.

النبي في رعاية أمه وجده

عاش النبي ﷺ بعد أن ردته حليمة إلى أمه، في كنف أمه ورعاية جده عبد المطلب.

قال ابن إسحاق: كان رسول الله ﷺ مع أمه آمنة بنت وهب، وجده عبد المطلب بن هاشم في كلاءة الله[1] وحفظه أي في رعاية الله، ينبته نباتاً حسناً، لما يريد به من كرامته[2].



قال ابن إسحاق: كان رسول الله ﷺ مع جده عبد المطلب بن هاشم، وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك، حتى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحد من بنية إجلالاً له. قال: فكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلام جفر حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني فو الله إن له لشأناً. ثم يجلسه معه على الفراش، ويمسح ظهره بيده، ويسره ما يراه يصنع[3].

(1) كلاءة الله: رعايته

(2) السيرة النبوية لابن هشام ١/١٥٥.

(3) المرجع نفسه ١/١٥٦.

وعن نافع بن جبير قال: كان رسول الله ﷺ يكون مع أمه آمنة بنت وهب. فلما توفيت قبضه إليه جده عبد المطلب وضمه، ورق عليه رقة لم يرقها على ولده، وكان يقربه ويدنيه ويدخل عليه إذا خلا وإذا نام، وكان يجلس على فراشه، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك: دعوا ابني إنه ليؤتَيَنَّ مُلْكاً.

وقال قوم من بني مدلج لعبد المطلب: احتفظ به فإنا لم نر قدماً أشبه بالقدم التي في المقام منه[1] فقال عبد المطلب لأبي طالب: اسمع ما يقول هؤلاء، فكان أبو طالب يحتفظ به.

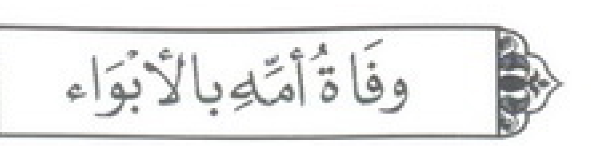
وقال عبد المطلب لأم أيمن، وكانت تحضن رسول الله ﷺ: يا بركة لا تغفلي عن ابني فإن أهل الكتاب يزعمون أن ابني نبي هذه الأمة.

وكان عبد المطلب لا يأكل طعاما إلا قال: علي بابني، فيؤتى به إليه. فلما حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله ﷺ وحياطته[2].

* * * *

[1] وأرادوا أثر قدم إبراهيم عليه السلام التي في المقام والتي قال الله عنها (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) وبنو مدلج كانوا مشهورين بالقيافة وهو علم معرفة الناس من آثار أقدامهم.

[2] الوفا باحوال المصطفى ١/ ١٢٠



وفاة أمه بالأبواء

قدر للنبي ﷺ أن يصاب بموت أمه كما أصيب بموت والده من قبل وعند ماكن جنينا كما مر معنا.

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم أن أم رسول الله ﷺ آمنة توفيت وهو ابن ست سنين في الأبواء بين مكة والمدينة، وكانت قد قدمت به على أخواله (أي أخوال جده عبد المطلب) من بني عدي بن النجار تزيره إياهم، فماتت وهي راجعة به إلى مكة[1]. ولعلها قصدت أيضاً زيارة قبر أبيه عبد الله بن عبد المطلب.

فعن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ مع أمه آمنة بنت وهب، فلما بلغ ست سنين خرجت به إلى أخواله بني عدي بن النجار بالمدينة تزورهم به، ومعه أم أيمن تحضنه، وهم على بعيرين فنزلت به دار النابغة فأقامت به عندهم شهراً. وكان رسول الله ﷺ يذكر أموراً كانت في مقامه ذلك.لما نظر إلى أطم ـ حصن ـ بني عدي بن النجار في المدينة عرفه فقال: كنت ألاعب أنيسة جارية من الأنصار على هذه الآطام، وكنت مع غلمان من أخوالي نُطَيِّرُ طائراً كان عليه يقع؟. ونظر إلى الدار فقال: هاهنا نزلت بي أمي، وفي هذه الدار قبر أبي

[1] السيرة النبوية لابن كثير ١/ ٢٣٥.

عبد الله بن عبد المطلب، وأحسنت العوم ـ السباحة ـ في بئر بني عدي بن النجار.

وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون إليه، قالت أم أيمن: فسمعت أحدهم يقول: هو نبي هذه الأمة وهذه دار هجرته. فوعين ذلك.

ثم رجعت به أمه إلى مكة، فلما كانوا بالأبواء توفيت أمه آمنة بنت وهب، فقبرها هناك. فرجعت به أم أيمن إلى مكة وكانت تحضنه[١].

وعندما احتضرت كان النبي ﷺ عند رأسها، فأغمي عليها، ثم أفاقت فنظرت إلى وجهه ثم قالت:

بارِكَ ربِّي فيكَ مِنْ غُلامِ ... يا ابنَ الذي في حَوْمةِ الحِمامِ

فَجَا بعونِ المَلِكِ المِنعامِ ... فُودي غَدَاةَ الضَّرْبِ بِالسهامِ

بمائةٍ مِنْ إبلٍ سِوَامِ ... إنْ صحَّ ما أبصرتُ في المنامِ

فأنتَ مبعوثٌ إلى الأنامِ ... من عند ذي الجلالِ والإكرامِ

تُبعثُ في الحِلِّ والحرامِ ... تبعثُ بالتحقيقِ والإسلامِ

دينِ أبيكَ البرِّ أبراهامِ ... فاللهُ ينهاكَ عن الأصنامِ

ألاَّ تواليها مع الأقوامِ

ثم أقبلت فقالت: كل حي ميت، وكل جديد بال، وكل كثير يفنى، وأنا ميتة وذكري باق، وقد تركت خيراً، وولدت طهراً، ثم ماتت[٢].

---

[١] الوفا باحوال المصطفى ١/١١٧.

[٢] " اتحاف الورى بأخبار أم القرى " للنجم عمر بن فهد ٨١٢-٨٨٥هـ، ١/٩٠.

وأخرجه السيوطي بسنده عن أم سماعة بنت أبي رهم عن أمها ذلك، وزاد فيه: فكنا نسمع نوح الجن عليها، فحفظنا من ذلك:

نبكي الفتاة البرة الأمينة ... ذات الجمال العفة الرزينة

زوجة عبد الله والقرينة ... أم نبي الله ذي السكينة

وصاحب المنبر بالمدينة ... صارت لدى حفرتها رهينة[١]

* * * * *

---

[١] الخصائص الكبرى ١/٨٠.



النبيُّ يزورُ قبرَ أمِّهِ في الأبواء

لم ينس النبي ﷺ أمه وشفقتها عليه وعنايتها به، فظل يذكرها رغم الأحداث الكثيرة التي مرت عليه، فبعد خمس وخمسين سنة تقريبا، و بعد هجرته إلى المدينة المنورة زار ﷺ قبرها في الأبواء بعد أن استأذن ربه في زيارتها، وبكى ﷺ عند قبرها وأبكى من كان معه.

ولما مر رسول الله ﷺ في عمرة الحديبية في الأبواء قال: «إن الله قد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه» فأتاه رسول الله ﷺ فأصلحه وبكى عنده، وبكى المسلمون لبكائه، وقيل له فقال: «أدركتني رحمة رحمتها فبكيت»[1].

وقد صح أنه ﷺ مر بالأبواء في أول غزوة غزاها، ففي صحيح البخاري في أول كتاب المغازي قال: باب غزوة العشيرة أو العسيرة. قال ابن إسحاق: أول ما غزا النبي ﷺ الأبواء، ثم بواط ثم العشيرة.

ثم روى بسنده إلى زيد بن أرقم أنه قيل له: كم غزا النبي ﷺ من غزوة؟ قال: تسع عشرة. قال: كم غزوت أنت معه؟ قال: سبع عشرة. قلت فأيهم كانت أول؟ قال: العشير، أو العشيرة. فذكرت لقتادة فقال: العشيرة[2].

---

(1) الوفا بأحوال المصطفى ١١٨/١.، وقد نقل أن هذه الزيارة كانت عند الفتح، وبه أذن ﷺ بزيارة القبور.

(2) صحيح البخاري في المغازي رقم ٣٩٤٩.

قال ابن حجر رحمه الله: والأبواء بفتح الهمزة وسكون الموحدة وبالمد، قرية من عمل الفُرع. بينها وبين الجحفة من جهة المدينة ثلاثة وعشرون ميلا، قيل سميت بذلك لما كان فيها من الوباء، وهي على القلب، وإلا لقيل الأوباء.. وليس بين ما وقع في السيرة وبين ما نقله البخاري عن ابن إسحاق اختلاف لأن الأبواء وودان مكانان متقاربان بينهما ستة أميال أو ثمانية، ولهذا وقع في حديث الصعب بن جثامة «وهو بالأبواء أو بودان»[1].

فالأبواء تقع في منتصف طريق مكة المدينة القديم تقريباً الذي يمر بمنطقة بدر، وهي قريبة من وادي ودان، بينهما ستة أميال أو ثمانية، ولتقاربهما يطلق على غزوة الأبواء غزوة ودان. ولا يبعد أن تكون قرية مستورة هي من وادي ودان، لأن وادي ودان واقع بين مستورة والأبواء، فبين مستورة وبين قرية الأبواء اليوم نحو ثلاثين كيلو مترا في طريق ذات حجارة ممهد بالأسفلت، وهذه الحجارة يسمونها الصمد ـ بفتح فسكون ـ أي ليست حرة وليست صخورا.

ومن المعلوم أن ما بين جدة ومستورة مسافة تقدر بـ ١٩٦ كلم. فالأبواء وودان ومستورة كلها منطقة واحدة تدخل في نواحي الفرع لضمرة وغفار وكنانة، ولكن الأبواء أهمها وأعظمها[2].

ويطلقون اليوم على الأبواء اسماً آخر، وهو الخريبة، لأن سيلاً عظيماً أتى عليها قديماً فخربها ثم عمرت من جديد.

---

(1) فتح الباري ٢٧٩/٧.

(2) كتاب التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم للشيخ محمد طاهر الكردي المكي ص ٨٠ ط١.

روى أبو نعيم من طريق الزهري عن أسماء بنت رهم عن أمها قالت:

شهدتُ آمنة أم النبي ﷺ في علتها التي ماتت فيها ومحمد عليه السلام غلام يفع عند رأسها، فَنَظَرَتْ إلى وجهه ثم قالت:

«كل حيٍّ ميتٌ، وكل جديدٍ بالٍ، وكل كثيرٍ يفنى، وأنا ميّتةٌ وذكري باقٍ، وقد تركت خيراً وولدتُ طُهْراً».

* * * *

أيْ أم محمد رسول الله ﷺ ...

أيُّ سطرٍ في كتابِ الوجود أمليْتِهِ على الكرام الكاتبين

فنعَموا لك واستجابوا لقولك مؤمنين؟

وأيةُ آيةٍ من سفر الخلود رتلْتِها ساعة وداعك الدنيا الفانية

وفيها ابنك الحبيب محمد ﷺ نور الوجود ورمز الخلود؟

وأي إلهام ألقى عليك هذه الكلمات

في ساعة يعصر فيها الوجد قلب الحبيب

* * * *

إنكِ قلتِ: أنا ميتةٌ وذكري باقٍ

فقال الوجود: أجل يا أم محمد

وقلتِ: وقد تركت خيراً وولدت طهراً

فقالت السماء: نعم يا أم محمد

وكفاك ذكراً أنّك أم محمد رسول رب العالمين

وكفاك فخراً أنكِ أم محمد أطهر المطهَّرين،

وسيد المرسلين.*



(قبر السيدة آمنة بنت وهب ، أم الرسول ﷺ)



(الوادي الذي يربط بين قرية الأبواء وقبر السيدة آمنة بنت وهب أم الرسول ﷺ)




أقوالُ العلماءِ في نجاةِ والديهِ عليهِ الصلاةُ والسلام

هذا نبي كريم ورسول عظيم اختاره الله تعالى وكرمه وأكرمه واختار له أبوين كريمين وأوجده من خلاصة ولد عدنان ومن الأصلاب الطاهرة من البشرية.. والأنساب الفاخرة ومن جواهر النطف.. وكما قال السيوطي: إن كل الأحاديث تصرح في مجملها لفظاً وكلها بمعانيها أن أباء النبي ﷺ وأمهاته من آدم وحواء مطهرون من دنس الشرك والكفر.. وليس فيهم كافر لأنه لا يقال في حق الكافر إنه مختار ولا طاهر ولا مصطفى بل يقال عن الكافر إنه نجس.. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ فوجب أن لا يكون في أجداده ﷺ شرك بل ما زال يتنقل من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزاكية وما زال يتنقل نوره من ساجد إلى ساجد قال تعالى: ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ فهذه الآية تدل على أن جميع آبائه ﷺ كانوا مسلمين.. وهكذا قال ابن حجر المكي: إن أمهات النبي ﷺ إلى آدم وآباؤه كذلك مختارون كرام والأمهات طاهرات.. والكافر لا يقال له طاهر.. ولا يقال في حقه مختار..وهكذا يرى كل عاقل ومحب ومؤمن بأن الآثار عندما تجمع وتحلل وينظر فيها بعمق ينتهي الأمر إلى خلاصة مهمة وهى أن أبوي الرسول ﷺ أقل ما يقال عنهما: أنهما كريمان.. ناجيان لأنهما من أهل الفترة ولم تبلغهما الرسالة وحاشا الله أن يعذب من لم تبلغه الرسالة وهو سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَا كُنَّا

مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ .. وأبوه عبد الله مات كما جاء معنا في الكتاب الذي بين أيدينا وهو في بطن أمه.. وأمه السيدة آمنة.. ماتت وهو ابن ست سنين على أغلب الأقوال.. وهكذا فهما ناجيان بنص القرآن..

وقد عجبت لرجال يتكلفون في محاولة إثبات أن والدي الرسول ﷺ في النار بغير علم ولا فهم ولا كتاب منير.. وهو خطأ وزلة قدم خاصة عندما ينسبان إلى الشرك وليسا بمشركين وهذا من باب إيذاء النبي ﷺ وأي أذى أعظم من أن يقال إن أبويه ﷺ في النار..

وقال القاضي أبو بكر بن العربي في المقالة الثالثة من كتابه المسمى: ب:«لب القول في أبوي الرسول ﷺ وآله: «إن أبوي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من أشرف أهل الجنة. وسئل عن رجل قال أن أبا الرسول ﷺ في النار. فأجاب بأنه ملعون لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ وقال لا أذى أعظم من أن يقال إن أباه في النار»[1].

ولقد كنا نناقش هذا الموضوع مع أستاذنا الشيخ الفقيه والعالم المحدث السيد إسحاق عزوز.. وكان له منهجه في تناول هذا الموضوع بأدب.. وكان يرى أنه ليس من مصلحة العامة التعرض لهذا الموضوع حتى لا تزل بهم الأقدام في متاهات أو إساءات يؤذون فيها رسول الله ﷺ وكان مذهبه أن تقتصر مناقشة هذا الموضوع على أهل

[1] نقلا عن أنباء الاصطفاء في حق آباء المصطفى ﷺ، عمر بن قاسم الأماسي.

العلم والفقه وأن تتم المناقشة بعلم وأدب وحب وتقدير واحترام لرسول الله ﷺ ونسبه الشريف الطاهر.. وأصله الطيب.. وآبائه وأجداده الكرام.. وقد سلك السيد إسحاق عزوز جزاه الله خيراً في مسلكه للدفاع عن أبوي الرسول ﷺ مسالك علمية.. وأول هذه المسالك ما جاء في القرآن الكريم مما يستدل به على نجاة الأبوين.. بل على طهارة أجداده وآبائه ثم اعتمد على ما جاء في الحديث النبوي الشريف فأورد الأحاديث الصحيحة ثم أورد شواهد عليها بحيث يشد بعضها بعضا.. وأعجبني أنه تجنب كل حديث فيه كذاب أو وضاع ولهذا فإني سوف ألقى الضوء على فكرته ومنهجه في الدفاع عن أبوي الرسول ﷺ لأنه منهج معتدل وعلمي..

ففي المسلك الأول الذي يعتمد على ما جاء في القرآن الكريم من آيات تثبت نجاة الأبوين.. بل تثبت نقاء وطهارة الآباء والأجداد.. وأول هذه الأمور هو أن الأصلاب والبطون التي حملته عليه الصلاة والسلام هي المقصودة بما جاء في القرآن الكريم على لسان أبي الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام في قوله:

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾

وفى قوله: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾

وفى قوله: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾

وفى قوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾

وهنا نأتي إلى النقطة المهمة وهى أن دعوة سيدنا إبراهيم عندما قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ أي أنه قد سأل الله أن يجعل في ذريته من ولده إسماعيل أمة مسلمة وما تناسل منهم فالمقام كان مقام الدعاء وسؤال الله أن يبقى هذا الإسلام في ذريته ثم جاء التعقيب..: ﴿وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ وهذا يوضح بجلاء أن المقصود ذرية إسماعيل دون سواهم من ولد إبراهيم ثم دعا أن يبعث الرسول من هذه الأمة المسلمة.. ومن هذا الفرع بالذات..

ويرى السيد إسحاق عزوز ـ رحمه الله ـ أن هذا الأمر لا يتصور أي لا سيما من تصور بعثته ﷺ من الأمة المسلمة من ولد إسماعيل إلا إذا كان دين إبراهيم سوف يمثله في القرون التي بينه وبين بعثة نبينا محمد ﷺ وأن الزمان من سيدنا إسماعيل لا يخلو من قوم مسلمين منهم.. إلى البعثة المحمدية.. وأنه ظلت فئات وأقوام ولو قليلون يدينون بملة إبراهيم في التوحيد الخالص ولا يعبدون الأصنام..

وقد أخرج ابن المنذر في تفسيره بسند صحيح عن ابن جريج في قوله تعالي حكاية عن إبراهيم عليه السلام ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ قال لا يزال من ذرية إبراهيم عليه السلام ناس على الفطرة يعبدون الله..

إن إبراهيم قد خص بدعائه أمة من ذريته تبقى فيهم ملته ولا تندرس على تطاول القرون إلى أن يبعث الله فيهم رسوله محمداً ﷺ منهم..

ولما لم يكن ممكنا بعثته من جميع أعراق ذريته كان أولاهم باحتسابه منهم هم أباؤه وأجداده وأمهاته فيكون منهم نسبا قريبا وملة.

قال السيوطي في الحاوي: كل ما ذكر عن ذرية إبراهيم عليه السلام فإن أولى الناس به سلسلة الأجداد الشريفة الذين خصوا باصطفاء، وانتقل إليهم نور النبوة واحدا بعد واحد فهم أولى بأن يكونوا هم البعض المشار إليه في قوله: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ﴾، ولما وضح أن إبراهيم دعا أن يبعث الله من ذريته أمة مسلمة، فآباء النبي ﷺ وأجدادهم داخلون في هذه الأمة، لأنهم فيها حتى لو عممنا أن المقصود الأمة الإسلامية، فآباء الرسول ﷺ وأجدادهم داخلون فيها، ومحمد الرسول هو المقصود بالآية: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ﴾.

قال سفيان بن عيينة لما سئل: هل عَبَدَ أحدٌ من ولد إسماعيل الأصنام؟ قال: لا، ألم تسمع قوله تعالى عن الدعوة التي دعاها أبونا إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ كما رواه ابن أبي حاتم.

وكذلك أخرج ابن جرير في تفسيره عن مجاهد أنه قال: «استجاب الله لإبراهيم دعوته في ولده فلم يعبد أحد من ولده صنماً بعد دعوته».

«وهذا ينطبق على كل من خص بدعائه: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ﴾ ومنهم آباؤه وأجداده ﷺ أن تبقى فيهم ملته ولا تندرس من آبائه وأجداده ﷺ ومن نزر قليل خصهم الله بعنايته ممن لم يبدلوا ولم يحرفوا..

روى عبد بن حميد عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ﴾ قال شهادة أن لا إله إلا الله والتوحيد لا يزال في ذريته من يقولها بعده.

ونقل عبد الرزاق في تفسيره عن ابن معين عن قتادة في الآية قال: الإخلاص والتوحيد، لا يزال في ذريته من يوحد الله ويعبده.

ولما كان هذا مقررا عند العلماء، فقد ذكروا أن آزر الكافر ليس أبا إبراهيم، إنما أبوه اسمه تارح، وأخرج ابن المنذر قال ابن جريج: الآية في عقب إبراهيم لم يزل في ذريته من يوحد الله ويعبده بقوله لا إله إلا الله.

قال ابن المنذر: وقول آخر: «فلم يزل ناس من ذريته على الفطرة يعبدون الله حتى تقوم الساعة».

وهكذا اختار الله لنبيه آباءه وأمهاته من طاهر إلى طيب ومن طيب إلى طاهر إلى أن أوصله الله إلى صلب عبد الله بن عبد المطلب ومنه إلى رحم أمه آمنة فأخرجه إلى الدنيا وجعله سيد المرسلين وخاتم النبيين ورحمة العالمين»[1].

ودعونا الآن ننتقل إلى المسلك الثاني بخصوص نجاة الأبوين الكريمين لرسول الله ﷺ.. فنستعرض ما جاء في الحديث النبوي الشريف عن نجاة الأبوين كما جاء في كتاب السيد إسحاق عزوز..

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت في القرن الذي كنت فيه**».

(1) الحجج الواضحات في نجاة الأبوين والأجداد والأمهات، السيد إسحق عزوز

وأخرج مسلم والترمذي وصححه عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة، واصطفى من كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم**»[١].

قال ابن تيمية: قضية الخبر أن إسماعيل وذريته صفوة ولد إبراهيم.

وفي ذخائر العقبي للمحب الطبري من حديث واثلة بلفظ: «**إن الله اصطفى من ولد آدم إبراهيم واتخذه خليلاً واصطفى من إبراهيم إسماعيل واصطفى من مضر كنانة وقريشاً ثم اصطفى من بني هاشم بني عبد المطلب ثم اصطفاني من هاشم**»[٢].

روى الترمذي وحسنه وأحمد والبيهقي عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**إن الله خلق الخلق فجعلني في خير فرقهم، ثم تخير القبائل فجعلني في خير قبيلة، ثم تخير البيوت فجعلني في خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً**»[٣]، وروى نحوه من حديث المطلب بن أبي وداعة، ومن حديث عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث رضي الله عنهما.

أخرج البيهقيُّ في دلائل النبوة عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن**

---

[١] أخرجه مسلم في الفضائل برقم (١)، والترمذي في المناقب رقم (١) جـ٥ـ / ٥٤٣ (٣٦٠٤) وأحمد في مسنده: ٤/ ٤٠٧.

[٢] ورد ذكره سابقاً.

[٣] الترمذي في المناقب: ٥/ ٥٤٤ (٣٦٠٥)، وأحمد في مسنده ١/ ٢١٠، ٤٠/ ١٦٦.

عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وما افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرهما فأُخرجت من بين أبوي فلم يصبني شيء من عهر الجاهلية وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي فأنا خيركم نسباً وخيركم أباً»[١].

وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه ﷺ قال: «**لم يلتق أبواي قط على سفاح ولم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذباً لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما**»[٢].

روى الطبراني عن ابن عمر أنه ﷺ قال: «إن الله تعالى اختار خلقه فاختار منهم بني آدم ثم اختار منهم العرب فاختار منهم قريشاً فاختار منهم بني هاشم ثم اختار بني هاشم فاختارني فلم أزل خياراً من خيار. ألا من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم»[٣].

وروى الطبراني وأبو نعيم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ عن جبريل عليه السلام قال قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضل من محمد ولم أر بني أب أفضل من بني هاشم[٤].

---

[١] أخرجه البيهقي في دلائل النبوة، وذكره المناوي في التيسير ١/ ٣٧٤.

[٢] أخرجه ابن عساكر ١/ ٣٤٩، والسيوطي في الدر المنثور: ٣/ ٢٩٤ و ٥/ ٩٨.

[٣] والحديث ذكره عياض في الشفا ١/ ١٨٢ نقلاً عن الطبراني في الأوسط، وأورده الهيثمي في مجمعه ٩٤.

[٤] ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد: ٨/ ٢١٧، وعزاه للطبراني في الأوسط وأورده الصالحي الشامي في سبل الهدى: ١/ ٢٢٩.

قال ابن حجر: «لوائح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن».
يريد والله أعلم أن الأحاديث الكثيرة تؤيده في أفضليته ﷺ وفي أفضلية بني هاشم على سائر القبائل.

وأخرج ابن مردويه: قرأ رسول الله ﷺ: **﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾**، ثم قال: **«أنا أنفسكم نسبًا وصهرًا وحسبًا ليس في آبائي من لدن آدم سفاح كلنا نكاح»**.

وقال السيوطي أورده المحب الطبري في ذخائر العقبي والبزار في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دخل ناس من قريش على صفية بنت عبد المطلب فجعلوا يتفاخرون ويذكرون الجاهلية فقالت صفية بنت عبد المطلب: منا رسول الله ﷺ فقالوا: نبتت النخلة أوالشجرة في الأرض الكساد فذكرت ذلك صفية لرسول الله ﷺ فغضب. فقام على المنبر فقال: **«يا أيها الناس من أنا؟»**. قالوا: أنت رسول الله. قال: **«انسبوني»**. قالوا: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب. قال: **«فما بال أقوام ينزلون أصلي فوالله إني لأفضلهم أصلاً وخيرهم موضعاً»**[1].

وأخرج الحاكم عن ربيعة بن الحارث رضي الله عنه قال بلغ النبي ﷺ أن أقواماً نالوا منه فقالوا: إنما مثل محمد كمثل نخلة نبتت من كناس فغضب رسول الله ﷺ فقال: **«إن الله خلق خلقه فجعلهم فرقتين فجعلني من خير الفرقتين ثم جعلهم قبائل فجعلني من خيرهم قبيلاً ثم جعلهم بيوتاً فجعلني من خيرهم بيتاً، ثم قال: أنا خيركم قبيلاً وخيركم بيتاً»**[2].

---

(1) ذكره السيوطي في الحاوي: ١/٣٧٠، والهيثمي في مجمع الزوائد: ٨/٢١٥.
(2) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد: ٨/٢١٧.

وأخرج ابن المنذر بسند صحيح عن ابن جريج قال: ليس آزر أبا إبراهيم وإنما هو إبراهيم بن تيرخ أو تارخ بن شاروخ بن ناحور بن فالغ.

قال: والعرب تطلق لفظ الأب على العم إطلاقاً شائعاً كما قال تعالى ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم بسند ضعيف عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن أبا إبراهيم لم يكن اسمه آزر، وإنما اسمه تارخ.

وأخرج ابن أبي حاتم وابن المنذر بأسانيد من طرق بعضها صحيح عن مجاهد قال ليس آزر أبا إبراهيم.

قال السيوطي:

«اعلم أن الأحاديث يصرح أكثرها لفظاً وكلها معنى أن آباء النبي ﷺ وأمهاته إلى آدم وحواء مطهرون من دنس الشرك والكفر ليس فيهم كافر لأنه لا يقال في حق الكافر إنه مختار ولا طاهر ولا مصطفى بل يقال نجس. قال تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ فوجب إن ألا يكون في أجداده مشرك فما زال منقولا من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة ومازال يتنقل نوره من ساجد إلى ساجد كما قال تعالى ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ﴾ فالآية تدل على أن جميع آبائه ﷺ كانوا مسلمين، وحينئذ وجب القطع بأن والد إبراهيم ما كان من الكافرين وإنما كان ذلك عمه» اهـ.

قال ابن حجر الهيثمي المكي: الأحاديث مصرحة لفظاً ومعنى أن آباءه وأمهاته ﷺ إلى آدم مختارون كرام وأن أمهاته طاهرات، والكافر لايقال في حقه مختار ولا كريم ولا طاهر بل نجس. ا هـ.

وهكذا طهر الله رسوله بالحفظ في الأصلاب والأرحام وطفلاً وناشئاً وكهلاً حتى قدسه بظهور نبوته وشرفه بالقربة وطيبه بروحه وجلله ببهائه صلى الله عليه وعلى آله وأزواجه وأصحابه[1].

وهكذا نرى في هذا المسلك ما يؤكد ذلك المنهج ويؤيد الفكر وينطبق مع المنطق السليم لسلامة الأبوين الكريمين لرسول الله ﷺ.

وإذا ما تعمقنا بدقة فيما مر بنا من آيات وأحاديث وآثار نرى أن كل أصل من أصوله عليه الصلاة والسلام منذ آدم عليه السلام إلى أبيه عبد الله هو من خير قرن إلى خير قرن.. ومن أفضل أصل إلى أفضل.. ومن أطهر رحم إلى أطهره.. وقد ظلت الأرض بإرادة الله ومشيئته من سيدنا آدم لا تخلو من أناس على الفطرة يعبدون الله ويوحدونه وبهم تحفظ الأرض.. والكون من الهلاك..

وقد أورد السيد إسحاق عزوز نصوصاً تدل على أن الأرض لم تخل على مر القرون من مسلم في كل القرون وأورد ـ رحمه الله ـ أحاديث وشواهد على ذلك..

منها : ما رواه عبد الرزاق في مصنفه بإسناده على شرط الشيخين عن ابن جريج قال: قال ابن الصيب: قال على بن أبي طالب: «لم يزل

[1] الحجج الواضحات في نجاة الأبوين والأجداد والأمهات، السيد إسحق عزوز ص ١٢، ٢٠

على وجه الدهر في الأرض سبعة مسلمون فصاعدا فلولا ذلك هلكت الأرض ومن عليها».

ومثل هذا لا يقال بالرأي فله حكم المرفوع.

ومنها : ما رواه الإمام أحمد في الزهد والخلال من كرامات الأولياء بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس قال: ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض وله حكم الرفع أيضا.

وقوله من بعد نوح لأنه من قبله كان الناس كلهم على الهدى.

ومنها : ما رواه البزار في مسنده وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم في تفاسيرهم والحاكم في المستدرك وصححه عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ قال: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين[1].

وفى الحاوي للسيوطي قال ابن أبي حاتم في تفسيره: «بين النبي ﷺ وبين آدم تسعة وأربعون أباً».

وفى الحاوي أيضاً: «إن سام بن نوح مؤمن بالإجماع» لأنه كان مع أبيه في السفينة ولم ينج فيها إلا مؤمن، قال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾

ثم ساق السيوطي آثاراً يعلم من مجموعها أن أجداد الرسول ﷺ من آدم إلى زمن نمرود كانوا مؤمنين بيقين، قال: ثم استمر التوحيد في ولد إبراهيم وإسماعيل.

[1] أورده الحاكم في المستدرك: ٢/٥٤٦.

قال الشهرستاني في «الملل والنحل»: كان دين إبراهيم قائماً والتوحيد في صدر العرب شائعا وأول من غيره واتخذ عبادة الأصنام عمرو بن لحي.

وقال ابن كثير في «تاريخه»: كانت العرب على دين إبراهيم إلى أن ولي عمرو بن عامر الخزاعي مكة فأحدث عبادة الأصنام وشرع للعرب الضلالات من السوائب وغيرها وزاد في التلبية.

وقال السهيلي في «الروض الأنف»: كانت العرب قد جعلوا عمرو ابن لحي مطاعاً لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوه شرعة لأنه كان يطعم الناس ويكسوهم في الموسم. اهـ [1].

فهو أول من غير دين إبراهيم ونصب الأوثان وبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي وأول من أدخل في التلبية لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، وتبعته العرب ومع ذلك بقيت بقايا من دين إبراهيم وظلت خزاعة على الحرم إلى أن انتزع منهم قصي ولاية البيت، وأخرجهم من مكة.

وقال السيوطي: وهذا يثبت أن آباء النبي ﷺ من عهد إبراهيم إلى زمان عمرو المذكور كلهم مؤمنون حيث لم يدخل التبديل والتغيير في شريعة إبراهيم إلا في زمن عمرو بن لحي الخزاعي.

ثم أخرج السيوطي روايات عن ابن عباس والطبري وابن سعد في طبقاته والسهيلي في «الروض الأنف» ووكيع في كتاب «الدرر من الأخبار» ما يدل مجموعها على بقاء كل من عدنان ومعه مضر وإلياس وكعب بن لؤي وولده مرة، وغيرهم من العرب كربيعة وخزيمة وأسد

[1] أورده السهيلي في الروض الأنف: ١٠٢/١.

وتميم وضبة وقصي على الإيمان. ونقل عن الماوردي في «دلائل النبوة» وأبي نعيم في «دلائل النبوة» أن كعب بن لؤي كان يخطب قريشاً يوم العروبة وهو يوم الجمعة فيذكرهم بمبعث النبي ﷺ ويعلمهم أنه من ولده ويأمرهم بأتباعه والإيمان به، ويبقى بعد مرة من آبائه ﷺ: كلاب وقصي وعبد مناف وهاشم وعبد المطلب وعبد الله والده ﷺ، وما ذكرناه من دعوات إبراهيم عليه السلام لذريته من إسماعيل عليه السلام ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾ يدل على أن من ذريته من بقي على الإيمان وأولاهم به سلسلة الأجداد والآباء الشريفة الذين خصوا بالاصطفاء وانتقل إليهم نور النبوة واحداً بعد واحد، فهم أولى بأن يكونوا هم البعض المشار إليهم في دعاء إبراهيم عليه السلام في الآيات السابقة. وقد دل ما سبق من دلائل على إيمانهم وحسبك ما رأوا من دلائل نبوته التي نقلت عنهم.

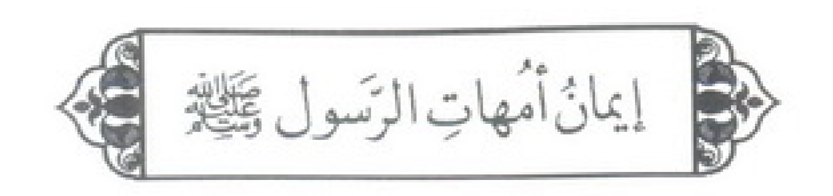
قال أبو الحسن الماوردي في كتابه أعلام النبوة: «إن الله استخلص رسوله ﷺ من أطيب المناكح وحماه من دنس الفواحش ونقله من أصلاب طاهرة إلى أرحام منزهة، وقد قال ابن عباس في تأويل قوله تعالى ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: أي تقلبك من أصلاب طاهرة من أب بعد أب إلى أن جعلك نبياً فكان نور النبوة ظاهراً في آبائه ثم لم يشركه في ولادته من أبويه أخ ولا أخت لانتهاء صفوتهما إليه وقصور نسبهما عليه ليكون مختصاً بنسب جعله الله للنبوة غاية ولتفرده نهاية فيزول عنه أن يشارك فيه ويماثل فيه فلذلك مات عنه أبواه في صغره فأما أبوه

فمات وهو حمل في بطن أمه شهرين، وأما أمه فماتت وهو ابن ست سنين وإذا خبرت حال نسبه وعرفت طهارة مولده علمت أنه سلالة آباء كرام ليس في آبائه مسترذل ولا مغمور مستبدل بل كلهم سادة قادة، وشرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوة. ا هـ)[1].

* * * * *



(1) الحجج الواضحات في نجاة الأبوين والأجداد والأمهات، السيد إسحق عزوز ص ٢٢، ٢٨



كان الرسول ﷺ يعتز بأمهاته وجداته ويقول كما جاء معنا: «أنا ابن العواتك والفواطم»[1] ولكن الأمر المهم الذي نناقشه في هذا الفصل هو قضية إيمان أمهاته ﷺ فقد عقد أستاذنا السيد إسحاق باباً خاصاً لذلك، وأثبت أن أمهاته قد سلمن من الشرك.. وأنهن طاهرات من السفاح..

قال السيوطي في «حاويه»: استقريت[2] أمهات الأنبياء عليهم السلام فوجدتهن مؤمنات فأم إسحق سارة وأم موسى وهارون يوحانذ وأم عيسى مريم وحواء أم شيث مذكورات في القرآن بل قيل بنبوتهن.

ووردت الأحاديث بإيمان هاجر أم إسماعيل وأم يعقوب وأمهات أولاده وأم داود وسليمان وزكريا ويحيى وشمويل وشمعون وذي الكفل.

ونص بعض المفسرين على إيمان أم نوح وأم إبراهيم ورجحه أبو حيان في تفسيره.

وقد تقدم عن ابن عباس أنه لم يكن بين نوح وآدم والد كافر ولهذا قال نوح: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا﴾، وقال إبراهيم: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ

(1) ذكره المناوي في التيسير: ١/٣٧٥

(2) تتبعت

ٱلْحِسَابُ﴾، ولم يعتذر من استغفار إبراهيم في القرآن إلا لأبيه خاصة دون أمه وهذا يدل على أنها كانت مؤمنة، وقد دلت الأخبار السابقة على أن آزر الذي استغفر له لم يكن إلا عمه، وأخرج الحاكم في المستدرك وصححه عن ابن عباس قال كانت الأنبياء من بني إسرائيل إلا عشرة (نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ومحمد عليهم السلام)[1].

وبنو إسرائيل كلهم كانوا مؤمنين، لم يكن فيهم كافر إلى أن بعث عيسى فكفر به من كفر، فأمهات الأنبياء الذين من بني إسرائيل كلهن مؤمنات وأيضاً فغالب أنبياء بني إسرائيل كانوا أولاد أنبياء أو أولاد أولادهم، فإن النبوة كانت تكون في سبط منهم يتناسلون كما هو معروف في أخبارهم.

وأما العشرة المذكورون من غير بني إسرائيل فقد ثبت إيمان أم نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وبقي أم هود وصالح ولوط وشعيب، فالظاهر إن شاء الله- إيمانهن (أي أسوة بالآخرين) فكذلك أم النبي ﷺ وكأن السر في ذلك ما يرينه من النور كما ورد في حديث أحمد والبزار والطبراني والحاكم والبيهقي عن العرباض بن سارية أن رسول الله ﷺ قال: «إني عبد الله وخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأخبركم عن ذلك، أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي التي رأت»[2] وكذلك أمهات النبيين يرين، وأن أم رسول الله ﷺ رأت حين وضعته نوراً أضاءت له قصور الشام ولاشك

[1] أورده الحاكم في المستدرك: ٢/ ٥٦٧.

[2] رواه أحمد في المسند: ٤/ ١٢٧ و ١٢٨، والحاكم في المستدرك: ٢/ ٦٠٠.

أن الذي رأته أم النبي ﷺ في حال حملها وولادتها له من الآيات أكثر وأعظم مما رآه سائر أمهات الأنبياء كما سبق في كتب السيرة.

قال السيوطي: وما أحسن قول الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي:

تَنقلَ أحمدُ نوراً عظيماً ... تلألأ في جِباهِ الساجدينا

تَقلبَ فيهمُ قرناً فقرناً ... إلى أن جاء خيرُ المرسلينا

وقال أيضاً:

حَفِظ الإلهُ كرامةً لمحمدٍ ... آباءَه الأمجادَ صوناً لاسمهِ

تركوا السفاحَ فلمْ يُصبْهم عارُهُ ... مِن آدمٍ حتى أبيهِ وأمهِ

وقال الشرف البوصيري صاحب البردة:

لَمْ تزلْ في ضمائرِ الغيبِ تُختا ... رُ لكَ الأمهاتُ والآباءُ

مامضتْ فترةٌ منَ الرسْلِ إلا ... بَشَّرتْ قومَها بِكَ الأنبياءُ

تَتباهى بِكَ العصورُ وتسمو ... بك علياءٌ، بعدها علياءُ

وبدا للوجودِ منكَ كريمٌ ... من كريمٍ آباؤه كُرَماءُ

نَسَبٌ تحسبُ العُلا بِحَلاه ... قلدتها نجومَها الجوزاءُ[1]

[1] الحجج الواضحات في نجاة الأبوين والاجداد والأمهات، السيد إسحق عزوز ص ٣٣، ٣٨.



ونأتي الآن إلى موضوع أهل الفترة[1] الذين لم تبلغهم الدعوة وماتوا قبل بعثته ﷺ ومنهم أبواه الكريمان وبعض أجداده.. وأهله ودعونا ننظر في هذه المسألة فالحقيقة أن أكثر العرب كانوا يقولون بانتسابهم إلى ملة إبراهيم عليه السلام.. إلى أن ظهر الفساد على يد عمرو بن لحي[2] الذي جلب الأصنام إلى مكة.. واستغل مركزه وإطعامه وإنفاقه وأغرى الناس.. بل أمرهم بعبادة الأصنام التي احضرها وزينها له الشيطان من شواطئ جدة واستغل غلبة الجهل وخلو الزمان من مبلِّغ، ولهذا فإن العرب عامة ما بين بعثة سيدنا عيسى عليه السلام وبعثة سيدنا محمد ﷺ هم على مراتب:

١- منهم من بقي على ملة إبراهيم عليه السلام فوحَّد الله ولم يعبد الأصنام كآبائه ﷺ وقس بن ساعدة وغيره، فهؤلاء مؤمنون ناجون.

[1] اهل الفترة نوعان:
١- الذين لم يرسل لهم رسول من بعد اسماعيل عليه الصلاة والسلام حتى محمد ﷺ
٢- الذين وجدوا في عهد الرسل ولكن لم يرسلوا إليهم

[2] رآه النبي ﷺ يجر قصبه في النار، فهو من الأربعة الذين استثناهم الرسول من أهل الفترة ومنهم امرؤ القيس وحاتم الطائي وعنترة لأمور ارتكبوها.

٢- منهم من دخل في شريعة حق قائمة كمن تهود وتنصر فحكمه حكم أهل الدين الذي دخل فيه، مالم يلحق الإسلام الناسخ لكل دين فإنه سيعذب إذا لم يؤمن.

٣- ومنهم من لم تبلغه دعوة لأي نبي كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى فهؤلاء أهل فترة.

٤- ومنهم من كان في زمن جاهلية ملأ الجهل الأرض وفقدت الشرائع من آل يعقوب ولم تبلغ الدعوة على وجهها إلا نفراً يسيرا من أهل الكتاب متفرقين في أقطار الأرض والشام وغيرها ولم يعهد للجاهل تقلب في الأسفار إلى مواطنهم ولم يعمَّر عمراً طويلاً يمكنه من التنقيب، فهؤلاء أهل فترة أيضاً إذا لم يشركوا بالله.

٥- ومنهم من لم يشرك ولا دخل في شريعة ولا ابتكر لنفسه شريعة، بل بقي عمره على حال غفلة عن هذا كله، فهؤلاء أهل فترة أيضاً، وفي الجاهلية من كان كذلك.

٦- ومنهم من بدل وغير وأشرك ولم يؤمن وشرع لنفسه وحلل وحرم وهم أكثر العرب اتبعوا عمرو بن لحي أول من سن للعرب عبادة الأصنام وشرع لهم الضلالات وأدخل في التلبية ما ليس منها وزاد بعضهم عليه من بعده ضلالاً من عبادة الجن والملائكة ووأد البنات واتخاذ بيوت جعلوا لها سدنة وحجاجاً يضاهون بها الكعبة كاللات والعزى ومناة، وعلى هؤلاء يحمل من صح تعذيبه لكفرهم بما لايعذرون به.

٧- ومنهم من بلغته دعوة أحد من الأنبياء السابقين ثم أصر على كفره، فهو في النار قَطعاً بلا نزاع.

وأهل الفترة نوعان:

١- الذين لم يرسل لهم رسول بعد إسماعيل حتى محمد عليهم الصلاة والسلام

٢- الذين وجدوا في عهد الرسل ولكن لم يرسل إليهم.

وعليه لابد من معرفة أن جميع الأنبياء والرسل على نبينا وعليهم الصلاة والسلام كانت دعواتهم قديمة ضيقة خاصة بأقوامهم فقط ولا تشمل غيرهم وذلك لأمرين:

أ-كل الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم كانوا يخاطبون أقوامهم خاصة، انظر قول موسى عليه السلام: ﴿ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾.. وقول عيسى عليه السلام: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ ﴾

وهذا هو الموجود في التوراة والإنجيل اليوم. وكذلك الآيات القرآنية: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾ ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾.

ب-قوله ﷺ كما في حديث جابر رضي الله عنه المتفق عليه: **«أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي[1] ... وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة»** والآيات القرآنية تتفق على عموم دعوته ﷺ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾.

(1) ذكره البخاري في كتاب التيمم برقم (١)، ومسلم في كتاب المساجد برقم ٣، ٤، ٥.

لذا فأهل الفترة بالنسبة للعرب في الحجاز هم من بعد إسماعيل عليه السلام إلى زمن نبينا ﷺ.. والذي يهمنا مناقشته هنا هو قضية أهل الفترة وهل يعذبون أم لا.. فقد قال السيوطي في «حاويه»: أطبقت أئمتنا من أهل الكلام والأصول على أن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجياً من العذاب، وذلك لأنه لاتعذيب قبل البعثة، ومن الإثباتات التي ساقوها من القرآن الكريم.. قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾، أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره في الآية عن قتادة قال: إن الله ليس بمعذب أحداً حتى يسبق إليه من الله تعالى خبر أو تأتيه من الله بينة.

وقوله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ﴾.

وقوله تعالى:﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

وقوله تعالى:﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ (٢٠٨) ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾.

وقولـه تعـالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ أَن تَقُولُوٓا إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ﴾ .

هذا وقد صحت أحاديث بتعذيب أشخاص من أهل الفترة ذكـروا بأسمائهم ممن بدل وغير الشرائع وشـرع مـن الضـلال مـالا يعـذر، والذين روي ذكرهم عن الرسول ﷺ: امرؤ القـيس، وحـاتم الطـائي، وعمرو بن لحي، وعنترة، والله أعلم..

أما أهل الفترة فإنه يراد بهم الأمم الكائنة بين أزمنة الرسـل الـذين لم يرسل إلـيهم الأول ولا أدركـوا الثـاني ولم تـبلغهم أي دعـوة حـق أصلا كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى عليـه السـلام ولا لحقـوا النبي ﷺ.

ومن أهل الفترة من أرسل إليهم نبي ولكن اند رست شريعته كلية. فإن لم تندرس شريعته بالكلية- ولو طـرأ عليهـا التحريـف والفسـاد- فليس أهلها أصحاب فترة كاليهود والنصارى فـإنهم ليسـوا أهـل فتـرة بسبب تحريفهم وتبديلهم، أما العرب من ذرية إسماعيل عليه السـلام فإنهم كانوا خارجين عن دعوة عيسى عليه السلام[1] .

والخلاصة أن أهل الفترة بـنص القـرآن لايعـذبون لأن الـدعوة لم تبلغهم.. ولكن على أي حال.. فإن في المسلكين السابقين من القـرآن والأحاديث النبوية الشريفة ما يغني عن كل ذلك، وأن النبي ﷺ تنقـل في الأصلاب الطاهرات والأرحام الزاكيات، فما افترقت فرقتـان منـذ

[1] الحجج الواضحات في نجاة الأبوين والاجداد والأمهات، السـيد إسـحق عـزوز ص٤٥، ٤١

آدم عليـه السـلام إلا كـان في خيرهمـا.. ويكفينـا.. ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ وأنه دعوة أبيه إبراهيم الذي دعا لـه..: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ والمقصـود بالأمـة في الآيـة..: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ هم الذين كانوا على الملة حتى مبعث الـنبي ﷺ وآمنـوا بـه والله تعالى أعلم .

* * * *



ذهب بعض الدارسين إلى تعقب حديث ضعيف يروى عن السيدة عائشة رضي الله عنها.. أن الرسول ﷺ قد ذكر لها بأن الله سبحانه وتعالى قد علم حزنه وألمه لوفاة أمه وأبيه قبل أن يبعث، وأنه قد خشي عليهما ولهذا فقد دعا الله لهما وأكرمه الله بأن أحياهما فآمنا به ثم ماتا بعد ذلك..

وقد عقد الفقيه الحنفي المشهور ابن عابدين فصلاً خاصاً في كتابة «رد المحتار على الدر المختار» قال فيه: وقد أكرم الله تعالى سيدنا محمداً ﷺ بحياة أبويه له حتى آمنا به، كما في حديث صححه القرطبي وابن ناصر الدين حافظ الشام وغيرهما وأنهما انتفعا بالإيمان بعد الموت على خلاف القاعدة إكراماً لنبيه ﷺ..

كما حصل مع قتيل بني إسرائيل ليخبر عن قاتله، وكما كان عيسى عليه السلام يحيي الموتى، والحديث الذي يُروى عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ نزل بالحجون كئيباً فأقام بها ما شاء ثم رجع مسروراً قال: «**سألت ربي عز وجل فأحيا أمي فآمنت بي ثم ردّها**». وقد قال المحب الطبري والخطيب البغدادي وابن عساكر وابن شاهين والسهيلي والقرطبي وابن ناصر الدين وابن المنير وابن سيد الناس قالوا: إن هذا الحديث غير موضوع وليس من رواته من أُجمع على جرحه هو من قسم الضعيف الذي تجوز روايته

في الفضائل والمناقب، وقد جاء هذا في السبب الثاني وشرح المذاهب للطبري للشيخ زهير (٢٠٦)

والحقيقة أن لا حاجة لمثل هذا الحديث.. لأن البعض يقول قد أحيا الله له أمه السيدة آمنة عندما كان في الحجون.. والبعض يقول أحيا له أمه وأباه.. وقد أعجبت بمذهب السيد إسحاق عزوز الذي ذهب إليه في أنه لا حاجة إلى الاحتجاج به لعدم ثبوته.

فقد اتضح لنا من الدراسة التي تقدمت أنهما وكل أجداده قد ظلوا على الحنفية.. أي على دين جدهم إبراهيم عليه السلام.

* * * *

المتحنِّفونَ مِنْ قريش

والراجح ـ والله سبحانه أعلم ـ أن والديه ﷺ ناجيان يوم القيامة لأنهما كانا من المتحنفين. وهم الذين لا زالوا متمسكين بعقيدة التوحيد، مائلين عن عقائد الشرك والوثنية. وقد وُجد في قريش قبيل بعثة النبي ﷺ بعض المتحنفين كورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو بن نفيل، الذي مات قبل بعثة النبي ﷺ. فقد عقد له البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه باباً خاصاً ذكر فيه ثلاثة أحاديث هي:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح[1]، قبل أن ينزل على النبي ﷺ الوحي، فقدمت إلى النبي ﷺ سفرة فأبى أن يأكل منها. ثم قال زيد: إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه. وأن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول: الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم الله. إنكاراً لذلك وإعظاماً له.

قال موسى ـ هو ابن عقبة ـ حدثني سالم بن عبد الله ـ ولا أعلمه إلا تحدث به عن ابن عمر ـ أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه، فلقي عالماً من اليهود فسأله عن دينهم فقال: إني لعلّي أن أدين به فأخبرني. فقال: لا تكون على ديننا حتى تأخذ

(1) بلدح: مكان بطريق التنعيم، ويقال هو واد.

تصيبك من غضب الله. قال زيد: ما أفر إلا من غضب الله، ولا أحمل من غضب الله شيئاً أبداً، وأنّى أستطيع؟ فهل تدلني على غيره؟ قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفاً. قال زيد: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً، ولا يعبد إلا الله. فخرج زيد فلقي عالما من النصارى فذكر مثله. فقال: لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله. قال: ما أفر إلا من لعنة الله، ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئاً أبداً وأنّى أستطيع؟ فهل تدلني على غيره؟ قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفاً. قال: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبد إلا الله. فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم عليه السلام خرج، فلما برز رفع يديه فقال: اللهم إني أشهدك أني على دين إبراهيم.

وقال الليث: كتب إليّ هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائماً مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول: يا معشر قريش والله ما منكم على دين إبراهيم غيري. وكان يحيي الموءودة ويقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته لا تقتلها أنا أكفيك مؤونتها، فإذا ترعرعت قال لأبيها: إن شئت دفعتها إليك وإن شئت كفيتك مؤونتها[1].

وهذا يؤكد نجاة والديه عليه الصلاة والسلام لأنهما ماتا في زمن الفترة، وهو ما رجحه العلامة ابن عابدين رحمه الله في قوله: وأما الاستدلال على نجاتهما بأنهما ماتا في زمن الفترة، فهو مبني على تفسير الآية الكريمة: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، وأن من

(1) صحيح البخاري في المناقب ٣٨٢٦-٣٨٢٧-٣٨٢٨.

مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجيا. وهو المرجح عند أهل السنة والجماعة. والبخاريون من الماتريدية وافقوا الأشاعرة، وحملوا قول الإمام: لا عذر لأحد في الجهل بخالقه، على ما بعد البعثة. واختاره المحقق ابن الهمام. لكن الألوسي قال في تفسيره روح المعاني في تفسير قوله سبحانه: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ استدل بالآية على إيمان أبوي النبي ﷺ كما ذهب إليه كثير من أجلة أهل السنة، وقال: أنا أخشى الكفر على من يقول فيهما بغير ذلك، يعني أن من تكون فيه الجرأة على أبوي النبي ﷺ وإيذائه بدون علم يخشى عليه الكفر في نظر الألوسي. وفسره كثيرون: أي يراك متقلباً في أصلاب وأرحام المؤمنين من لدن آدم وحواء إلى عبد الله وآمنة، فجميع أصوله رجالاً ونساء مؤمنون.

قال عبد العزيز: وعمدة من استدل على إيمان الأبوين هو ابن عباس وقتادة، كما رواه جماعة منهم الطبراني والبزار وأبو نعيم والخلال فقد فسروا التقلب في أصلابهم حتى ولدته أمه ﷺ، والحديث **«لم أزل أتنقل في الأصلاب الطاهرات إلى الأرحام الزاكيات حتى ولدت من آمنة وعبد الله»**[1]. ويؤكد أيضاً نجاة أهل الفترة من النار ما ورد في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين فقال: **«الله إذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين»**[2].

---

[1] روح المعاني ١٩/١٣٨. وأورد على هذا آزر أبا إبراهيم فإنه كافر بمقتضى الآيات، وأجاب عنه العلماء بأنه عم ابراهيم وليس بأبيه

[2] صحيح البخاري في الجنائز ١٣٨٣.

قال النووي: هو المذهب الصحيح الذي صار إليه المحققون لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، وإذا كان لا يعذب العاقل لكونه لم تبلغه الدعوة فلأن لا يعذب غير العاقل من باب الأولى[1].

ويؤكد ما ذهب إليه الإمام النووي رحمه الله قوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.. الروم الآية ٣٠ أي الزموا أصل الخلقة التي خلق الناس عليها. فالفطرة: الخلقة وزناً ومعنى، والمراد القابلية للتوحيد والاستعداد له، والله خلق الناس قابلين له غير نابين عنه ولا منكرين له، لكونه مجاوباً للعقل مساوقاً للنظر الصحيح، حتى لو تركوا لما اختاروا عليه ديناً آخر.

فأهل الفترة ـ والله سبحانه أعلم ـ كانوا لا يزالون على الفطرة لم تبلغهم دعوة النبي ﷺ.

فالمتحنفون هم حملة كلمة التوحيد التي بقيت في ذرية إبراهيم عليه السلام حتى بعث نبينا ﷺ، فلما أعلن إبراهيم عليه السلام براءته مما يعبد أبوه وقومه جعل كلمة التوحيد باقية في عقبه، حتى بعث فيهم رسول الله ﷺ. دل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ الزخرف الآيات ٢٦-٢٩.

---

[1] فتح الباري ٣/٢٤٧.

وقوله سبحانه: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

أي: وجعل إبراهيم كلمة التوحيد، وهي **(لا إله إلا الله)** باقية في ذريته، فبقي فيهم من يوحد الله ويدعو إلى عبادته وحده، لعل المشركين منهم يرجعون عن شركهم بدعاء الموحدين، فقد اهتم عليه السلام بغرسها في نفوس أبنائه ووصيتهم بها، قال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ البقرة الآية ١٣٢. وقد انتهت هذه الكلمة إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ببركة الدعوات الخاشعات التي رفعها إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام إلى الله تعالى، وهما يرفعان قواعد بيت الله الحرام: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ البقرة الآية ١٢٩. ومر معنا أن رسول الله ﷺ يمتد نسبه الشريف إلى إسماعيل وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام. ففي الحديث الشريف الذي مر معنا والذي أخرجه مسلم في الفضائل أنه ﷺ قال: «**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل..**» وأخرجه الترمذي في سننه بلفظ: «**إن الله اصطفى كنانة من ولد إبراهيم وإسماعيل..**» وقال: هذا حديث صحيح.

وخلاصة القول نصان قرآنيان يقطعان بنجاة أهل الفترة، ولاتردهما أي رواية، وهما قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾.، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي

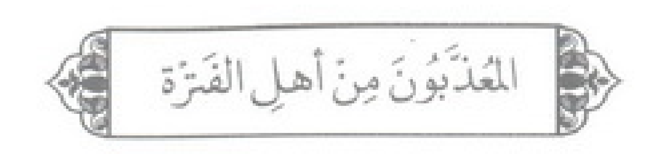
أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾[1]، فهاتان الآيتان تنصان على أن الله لا ينزل عقوبته وعذابه على الناس إلا بعد الإنذار وإرسال الرسل، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾[2] وكلا النصين جاءا بأسلوب النفي والاستثناء الذي يفيد القصر والحصر للمعذبين، وبأسلوب النكرة في سياق النفي الذي يفيد عموم الخير، قال تعالى: ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾. فهذه الآية تبين أن قومه ﷺ لم يرسل إليهم رسول من قبل، والله تعالى أعلم.

* * * * *

---

(1) القصص/٥٩

(2) الأنعام/ ١٥٥، ١٥٦



والجدير بالذكر أن النبي ﷺ لم يذكر أنه يعذب من أهل الفترة في النار إلا رجلان: هما عمرو بن لحي كما مر معنا، لأنه أدخل الوثنية على العرب وجلب إليهم الأصنام. ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف أبا بني كعب هؤلاء، يجر قصبه في النار**»[1].

وقال ابن المسيب: قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ «**رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار، وكان أول من سيب السيوب**»[2]. وقوله «**قصبه**» يعني أمعاءه. وقوله «**أول من سيب السيوب**» أي ترك السائبة، وكانوا إذا تابعت الناقة بين عشر إناث لم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها، وتركوها مسيَّبة بسبيلها وسموها السائبة. قال تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ المائدة ١٠٣.

وأخبر ﷺ أيضاً أن امرأ القيس في جهنم مع أنه من أهل الفترة لكثرة ما صرح في شعره من الكفر والفجور، ففي مسند أحمد عن

---

[1] ذكره مسلم في كتاب: الجنة ونعيمها باب٦٣(٥)

[2] أورده البخاري في المناقب (٩) وتفسير سورة النساء/١٣، وأخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها ٥٠_٥١

أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال عن امرئ القيس: «**صاحب لواء الشعراء إلى النار**»، وجاء في عنترة أيضاً، وجاء في حاتم الطائي أنه لم يشكر الله في حياته قط، وجاء أيضاً في عبد الله بن جدعان غير الأربعة فالمستثنون من أهل الفترة أربعة هذا ماوصل إليه علمنا.

* * * * *




أدلة المخالفين للرأي بنجاة الأبوين والرد عليهم

احتج المخالفون القائلون بعدم نجاة والدي النبي ﷺ بظاهر الحديث الشريف الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، فاستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي**»[1].

وفي رواية ثانية عن أبي هريرة قال: زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله. فقال: «**استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت**»[2].

وليس في الحديث ـ كما هو ظاهر ـ حجة لهم، فعدم إذن الله تبارك وتعالى للنبي ﷺ أن يستغفر لأمه، لا حجة فيه. بل إن في زيارة النبي ﷺ قبر أمه وقيامه على قبرها ما يدل على نجاتها، لأنه ﷺ منهي عن الصلاة على الكافرين والقيام على قبورهم بصريح قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ التوبة ٨٤. فزيارته ﷺ قبرها وقيامه عليه وبكاؤه عنده، كل ذلك يدل على نجاتها من المسؤولية والحساب يوم القيامة.

---

(١) أخرجه مسلم في الجنائز ٢/٦٧١(٦٠٥)

(٢) صحيح مسلم في الجنائز ٢/٦٧١(١٠٨)

ومر معنا أنها من أهل الفترة، وأن أهل الفترة ناجون من المسؤولية لعدم وصول الدعوة إليهم بصريح قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ وقوله أيضاً: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ﴾ فأم القرى هي مكة المكرمة، والرسول هو سيدنا محمد ﷺ.

وقد يكون بكاؤه ﷺ على ما فاتها من إدراك أيامه والإيمان به بعد الرسالة كما قال القاضي عياض رحمه الله[1]. وقد روي بأن الله رحم بكاءه فأحياها له حتى آمنت به.

واحتج المخالفون أيضاً بظاهر ما رواه مسلم في صحيحه عن طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك أن رجلاً قال يا رسول الله: أين أبي؟ قال: «**في النار**» فلما قفى دعاه فقال: «**إن أبي وأباك في النار**»[2].

فقوله: «**إن أبي وأباك في النار**» كما قال النووي في شرح صحيح مسلم: هو من حسن العشرة للتسلية بالاشتراك في المصيبة. وأوله بعضهم فحمله على أبي طالب، إذ يطلق الأب أحياناً على العم فهو صنو الأب، ويستأنس لذلك بقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ البقرة الآية ١٣٣ ولا شك أن إسماعيل عم يعقوب عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام.

---

(١) وقد أول الحديثَ هذا التأويل علماء أجلة كثيرون.

(٢) صحيح مسلم في الإيمان رقم ٢٠٣.

ثم نأتي إلى النقطة الأخرى بخصوص أم المصطفى ﷺ وماجاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه بشأن استئذان النبي ﷺ في الاستغفار لأمه فلم يؤذن له كما رواه مسلم وأبو داود.

ومعلوم أيضاً أن النهي عن الاستغفار للمشركين وعن القيام على قبر مشرك كان من قبل حجة الوداع التى حصل فيها الاستئذان، كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾، وكما قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾

ورسول الله ﷺ لايطلب الأمر الذى نُهيَ عنه، ولايرتكب مانهاه عنه ربه وهو طلب استئذانه للاستغفار لها، واستئذانه لزيارتها إنما هو لأنه صحت طهارتها عن دنس التلوث بالشرك ودليل على إسلامها وعدم موتها على الشرك، وعدم الإذن له في الاستغفار لها لايدل على أن الاستغفار لها غير مقبول أبداً إذ يجوز أن يؤذن فى وقت ولايؤذن في وقت فيؤخر إلى مجئ الوقت المعين فيستجاب عند مجيئه، وقد ورد بأن الله أذن له بالاستغفار لها.

كما أن عدم الإذن بالاستغفار لها لايقتضي أنها من أهل النار أو يقتضي شركها، لأن هذا الاحتمال معارض بما هو أرجح منه، وهو ماسبق فى المسلكين من أدلة قرآنية وأحاديث على أن كل أصل من أصوله ﷺ كان متديناً بالملة الإبراهيمية استجابة لدعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ وأن أولى الناس من ذريته من إسماعيل عليه السلام باستجابة دعائه فيهم هم سلسلة أصوله الشريفة الذين دعا أن يبعث الرسول منهم حيث خصوا

بالاصطفاء ونقل نور النبوة إليهم واحداً بعد واحد، ولما دلت عليه الأحاديث أن كل أصل من أصوله كان خير أهل قرنه.

فتعين لهذا تأويل الحديث بأنه كان يطلب إحياءهما ليتشرفا بصحبته ﷺ بالإيمان به، أو لأنه طلب الإذن بالاستغفار، وقد ورد بأنه استجيب له فيما بعد، والله أعلم.

واذا كان قد صح في أبي طالب أنه أهون أهل النار عذاباً فإن هذا مما يدل على أن أبوي النبي ﷺ ليسا في النار لأنهما لو كانا فيها لكانا أهون عذاباً من أبي طالب لأنهما أشد منه قرباً وأبسط عذراً إذ لم يدركا البعثة ولا عرض عليهما الإسلام فامتنعا بخلاف أبي طالب[1].

وحديث أبي وأبوك في النار قلنا المراد به تسلية السائل، وتخفيف همه، وقد قال كبار العلماء، إذا كان المقصود ظاهره فالمراد بالأب أبوطالب، فالعرب تدعو العم أباً.

وختاماً فلا دلالة بأي شكل من الأشكال على وقوع الشرك من أبوي الرسول ﷺ كما ذهب البعض ولاحول ولاقوة إلا بالله، بل هما من ذرية ابراهيم الذين دعا إبراهيم لهم بالاسلام، ودعا ببعث الرسول ﷺ منهم فقبل الله دعوته وحفظ ملته، حتى خرج الرسول ﷺ من هذه السلالة الطاهرة، من نسل طيب متسلسل طاهر عن طاهر وطيب عن طيب. فالله أعلم حيث يجعل رسالته.

❊ ❊ ❊ ❊

[1] الحجج الواضحات في نجاة الأبوين والأجداد والأمهات، السيد إسحق عزوز، ص ٦٧، ٦٢

دموعٌ في الأبواء

أما عن دموعه ﷺ في الأبواء عندما استأذن في زيارة أمه أو في الحجون فذلك محمول على شفقته عليه الصلاة والسلام عندما تذكر أمه وحنوها وعطفها عليه وانقطاعها من كل شيء في الدنيا والتفرغ لتربيته فكانت الدموع تعبيراً عن هذا الحب وسؤال إلى الله عز وجل بأن لا يخزيه في والديه، ودموع النبي ﷺ عند قبر أمه لن يضيعها الله تبارك وتعالى، ولن تذهب هدراً، لما له من المكانة العالية عند ربه.

وقد ألفت رسائل عدة لأئمة معتبرين في نجاة أبويه ﷺ منهم الإمام السيوطي.

وكما أخبره الله سبحانه وتعالى عندما بكى شفقة على أمته أنه سيرضيه في أمته ولا يسوؤه، كذلك سيرضيه سبحانه في أمه وفي أبيه ولا يسوؤه. ففي الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]. وقال عيسى عليه السلام ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[2] فرفع يديه فقال: «**اللهم أمتي أمتي**» وبكى. فقال

[1] ابراهيم / ٣٦
[2] المائدة /١١٨

الله عز وجل: ياجبريل، اذهب إلى محمد، وربك أعلم، فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فأخبره رسول الله ﷺ بما قال، وهو أعلم، فقال الله ياجبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك[1].

وقوله سبحانه للنبي ﷺ: «**إنا سنرضيك**» هذا موافق لقول الله عز وجل ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾، وقد قال النبي ﷺ: «**إذن لا أرضى وواحد من أمتي في النار**».

ولما أنزل آيات: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ (وهو أمية بن خلف) ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ (أبو بكر) ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ أرسل الرسول ﷺ لأبي بكر وقال: «**أنزل في حقك آيات**» فتلاها عليه، فقال: «**إذن لا أرضى وواحد من أمتك في النار**».

فسيرضيه ربه ولن يخزيه. وقد ورد من دعاء إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ الشعراء [٨٧] أي أجرني يوم القيامة من العار والفضيحة عندما يحضر أبي في زمرة المعاندين الضالين. وفي الحديث الشريف أن النبي ﷺ قال: «يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم: يارب إنك وعدتني ألا تخزيني يوم يبعثون. فأي خزي أخزي من أبي الأبعد؟ فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقال:

[1] صحيح مسلم في الإيمان ٢٠٢

يا إبراهيم ما تحت رجليك؟ فينظر فإذا هو بذيخ ملتطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار »[1].

والذيخ ذكر الضباع إذا كان كثير الشعر.

ولم يؤثر عن النبي ﷺ أنه سأل الله سبحانه وتعالى كما سأله إبراهيم بألا يخزيه يوم القيامة بوالديه، وهذا يؤكد نجاتهما.

*****

---

[1] صحيح البخاري في الأنبياء رقم ٣٣٥٠ .



خاتمة

وختاماً فهذا جهد حاولت فيه إلقاء الضوء على سيرة أبوي الرسول ﷺ والدفاع عنهما وعن أجداده، وأنه ﷺ «خيار من خيار» وهو خلاصة ولد عدنان، أطهر البشرية، وأنفس جواهر النطف، واستعنت فيه بما كنا نتلقاه من دروس من أستاذنا الفقيه العالم السيد إسحق عزوز رحمه الله تعالى، ومن بعض أوراقه المخطوطة التي لم تنشر حتى اليوم، وقد كان مذهبه رحمه الله تعالى الأدب مع رسول الله ﷺ، وتحذير الناس من الجُرأة في إيذائه في نفسه أو في آل بيته الطيبين الطاهرين أو في نسبه، وكان دائماً يعلمنا بأنه من الأدب أن نتأدب مع رسول الله ﷺ بعد وفاته كالأدب معه في حياته، وأن نستفيد من أدب الصحابة رضوان الله عليهم معه في حياته، وكيف كانوا يتسابقون إلى رضاه، ولا يرفعون حتى أنظارهم إلى وجهه الكريم، بل كانوا يغضون الأبصار عنده، ولهذا فمن الأدب معه ﷺ عدم التعرض لأبويه بسوء، فمن كان من عامة الناس فعليه بالصمت والبعد عن هذا الموضوع وعدم التعرض له، ويكفيه أن يعلم أن الرسول ﷺ هو «خيار من خيار» وأنه عليه الصلاة والسلام قد تنقل في تلك الأصلاب الطاهرة والأرحام الكريمة إلى أن خرج إلى الدنيا كريماً مكرماً طاهراً مطهراً ونوراً أضاء الله به هذا الكون.

أما إن كان الإنسان من أهل العلم فعليه أن يناقش هذا الموضوع أيضاً بأدب وعلم وأن يضع في اعتباره أنه إنما يناقش جوانب من سيرة

رسول الله ﷺ.. ولهذا فإنه في خاتمة بحثي هذا أود أن أحذر من أذى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في والديه، فإن ذلك خطير وخطير جداً، ويخشى على قائله الخروج من الإيمان[1]، وقد توعد الله جل جلاله الذين يؤذون النبي ﷺ بأشد الوعيد فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ الأحزاب [٥٧] وقال أيضاً: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ التوبة [٦١] فلا ينبغي لمؤمن أن يؤذي رسول الله ﷺ في والديه أو يؤذي الأحياء من آل بيت النبي ﷺ في والديه عليه الصلاة والسلام، وقد صح عنه أنه قال «**لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء**»[2].

وعلينا أيضاً أن نتذكر ما مر معنا من قول العلامة ابن عابدين رحمه الله: إنه لا ينبغي ذكر الخلاف في هذه المسألة إلا مع مزيد الأدب، وليست من المسائل التي يضر جهلها أو يسال عنها في القبر أو في الموقف، فحفظ اللسان عن التكلم فيها إلا بخير أولى وأسلم[3]

نسأل الله أن يرزقنا الأدب مع رسول الله ﷺ، ومع آل بيته الطيبين الطاهرين، وصحابته الكرام البررة.

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل..

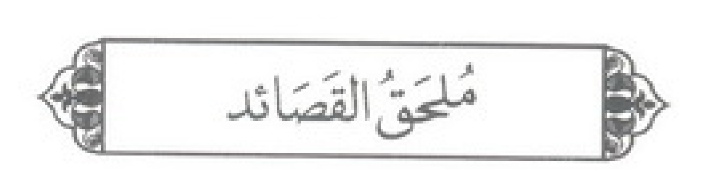
محمد عبده يماني

---

(1) كما ذهب إلى ذلك الألوسي خاتمة المحققين في روح المعاني ج١٩ص ١٣٨

(2) أخرجه الترمذي في سننه وأحمد في مسنده

(3) رد المحتار على الدر المختار ٢/٣٨٦



أمُّ النُّورِ

آمنــةٌ، يـا أمَّ النــور آمنة، فى يـوم الصُّـور
يـاخيرَ وعــاء مختـار للنــور زكـىٌّ وطَهُور
فوعــاء النـور حقيقتـه أصفَـى مِن أصفى بلُّور
والله اختـاركِ للهـادى من نسلِ النضرِ التحـّرير
يا أمٌّ للنور، وحسبُكِ أنْ تُدعَيْ فِينا: أم النـور
أمٌّ للنــور المذخــور يسَرِى بِبطونٍ وظهور
من آدم يحملـه الأخيار ليومٍ تَجَلٌّ وظهــور
فى السَّجّادِيـنَ تقلُّبـه فى طُولِ عصورٍ ودُهـور
واقـرأ فى الشُّعَـرَا آيَتَهـا جَـلَّ القـرآن عن الزُّور
واقرأ عنهـا ما قد كتبـت... فيهـا أعـلامُ التفسـير
ما أعظـمَ أمّاً أهدتنـا مفتـاحَ الخيـرِ المنشـور
ولدتـه يصاحبـه نـور جَلَّى فى بصـرَى لقصـور
يا أم المـاحى... بِعثَتُـه محوٌ لظلام الدَّيْجُـور
يا أمَّ الخـاتَم... آيتُـه تُتْلَىَ بكتـابٍ مسطـور
تبقى فى الدنيـا معجـزةً عُظمى لسميـع وبصير
يا أمَّ الرحمـة مُزجَـاةً لجميـع الكونِ المنثـور
يا أمَّ العاقـب.. آخرِ مَـنْ يُدْعـى ببشيرٍ ونَذِيـرِ

لم تحمل مثلك عذراءٌ ... هي أم مسيح التبشير
هو حاملُ بشرى مَقْدَمِه ... كالحاجب فى ركب أمير
واقرأ فى الصف بشارتَه ... بالأحمدِ فى خير سطور
ما نالت حواءٌ يوماً ... ما فزت به من توقير
فوليدك سَيِّد مِنْ وَلَدت ... أنثى بصحيح المأثور
يا أُمّاً شرَّفَهَا رَبِّى ... بولادة أشرفِ مذكورُ
من يشفعُ فى يوم يَأْبَى ... أن يفعلها أيّ كبير
فدعاؤهمو: نفسي نفسي ... من خوفِ حسابٍ ومَصِير
فتقوم مقاماً محموداً ... فى كلٍّ الجمع المحشورِ
يا أمّاً شرَّفت الدنيا ... بولادة أكرمِ مفطور
بحبيب الله، صَفِيِّ ... الله نَجِيِّ السِّدرة والنور
يا جَدَّة زهراءِ الدنيا ... حَوراء الدنيا فى الحور
قد قلت لظئر خائفةٍ ... من حادث شرحٍ لصُدور
إبنى ذو شأن يحفظه ... باريه لأمر مقدور
ورأيت بمولده نوراً ... فَدَعِيه يا ظئرُ وسيري
وشهدت له عند نزول ... بسجودٍ للعرش مُشير
آمنت بربى - لأُ يهْدَى ... بالنور سوى خير ضمير
والله دعا الكافرَ أعمى ... أو مَيْتا مثل المقبور
فضمير الكافرِ فى سجنٍ ... فى جُبّ الأوثانِ حقير

لو شامَ أبو جهل نوراً ... ما عاش لِكيدٍ وشرور
لا يشهد ذو رين نورا ... يمتد لشام مستور
آمنة نور من نور... ... وطهور فؤاد مبرور
واقرأ فى السيرة ما قالت ... فى ساعة موت مقدور
تستودعه وتُقِرُّ بِهِ ... وهداه وتمضي لمصير
يا أمَّ الشافع والمحمو ... د وخير وليّ مشكور
هو دعوةُ إبراهيم أتتْ ... لتجير الناس من النِّير
تنجيهم من جور الأديا ... ن وذل الشرك المدحور
وتحررهم من أوثان ... ما أعظمه من تحرير
وتعيد الفطرة للإنسا ... ن وتمحو سوء التغيير
حيتكِ الدنيا يا أمّاً ... لوليد البيت المعمور
وشفيع الخلق وهاديهم ... وإمام الرسل المنصور

* * * * *

مَعدِنُ النَّبِيِّ

يا أبا المختار يا خيرَ أبِ — من أتي مثلَك بابنٍ كالنبي

يا أعزا أحمدِ غرتُه — غُرةٌ تكسِفُ ومضَ الشُّهُبِ

يالها من غُرّةٍ كم أضرمت — قلبَ حسناواتها باللهب

كم بذلن التَّوقَ في ترغيبِهِ — خِلتَهُ يأتي نتوق الأعزَبِ

فأباهن حَراماً وارتدى — ثوبَ حزمٍ وعفافٍ أعجبِ

نسمةٌ من خيرِ عدنانٍ أباً — أشرقت من شيبة المطلبي

والتقى فيها كريما مكة — أنتَ والغراءُ ذاتُ الحسب

قدَّر اللهُ لهُ آمنةً — خيرةَ الله العليمِ الموجبِ

خصه الله بأمٍّ برَّةٍ — وأبٍ برٍ وجدٍ معجبِ

ما الذي يبلغ شعري فيهمو — ولو اقتدت عنان السحب

ولي أنيَّ صغتُه من أنجم — ما وفت في شأنهم من أرَبِ

بنتُ وهبٍ خيرُ أمٍ أنجبتْ — سيد الدنيا سنيَّ المنصبِ

درةٌ زُفتْ إلى خير فتىً — هو عبد الله عالي النسبِ

سيدٌ من خير سادات سرى — فيهم النور بكل الحقب

ساجد من ساجد أخبرنا — عنهم القرآن فوق الريب

منذ أهدَى آدمُ غرته — ظهرَ شيثٍ وإلى نوح الأبي

ثم إبراهيمَ جدُّ الأنبياء — ثم إسماعيل جدُّ العرب

قبسةٌ من نور ربي أشرقتْ — كل جيلٍ في جبينٍ منجبِ

بالذبيحين ازدهَتْ في مكةٍ — وأهلّت في ربيعٍ مخصب

كان إسماعيل فيها أوّلاً — ثم عبد الله عوناً للأب

وأتاها هاتفٌ بشَّرها — بالوليد الأحمدِ المنتخبِ

سيدُ الرسلِ وحادي جمعهم — صاحب الفرقان ختم الكتب

رحمة الله إلي الخلق الذي — ربه أوْلاَه أسمى أدبِ

قد نماه ساجد من ساجد — تحت عين الله في كل أب

أمه أزكى وعاء ضمه — من أبٍ أجداده في النجب

كلهم هادٍ حنيفٌ مؤمنٌ — عارف بالمصطفى المرتَقَبِ

فارَقُوا الأوثانَ والخمرَ ولَمْ — يُعرَفُوا بالفحشِ أو بالكذب

كلهم برٌ صدوقٌ منفقٌ — لم يعشْ في شحٍّ جمع النشَبِ

خيرة من خيرة من خيرة — خصها الله بأعلي الرتب

والذي يَنبِزُهم في قوله — هو مؤذٍ للنبي العربي

سادرٌ في غيهِ مستهترٌ — ساقطُ الرأيِ عديمُ الأدبِ

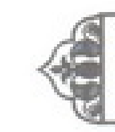
كذَّبَ المختار في أقواله — يشتري بالوحي سوءَ الشغبِ

حسبُهُ النارُ التي قد برزَتْ — للذي يقدَحُ في آل النبي

والذي يروونه مستنكرٌ — رده حذاقُنا في الكتب

فاحفظوا المختارَ في عِترَتهِ — وكذا أمٍ وجدٍ وأب

حُبُّهم حبٌّ له نرجو به — رحمةَ الله بيومِ الغضبِ




الفهرس

الموضوع | الصفحة

* * * * *



صدر للمؤلف

١- علموا أولادكم محبة رسول الله ﷺ

٢- علموا أولادكم محبة آل بيت النبي ﷺ

٣- بأبي أنت وأمي يا رسول الله ﷺ

٤- هكذا صام رسول الله ﷺ

٥- هكذا حج رسول الله ﷺ

٦- أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها

٧- إنها فاطمة الزهراء

٨- أم المؤمنين السيدة عائشة وأمانة الرواية

٩- المعادلة الحرجة في حياة الأمة الإسلامية

١٠-حوار مع البهائيين

١١-البابية

١٢- بدر الكبرى

١٣-أفريقيا لماذا؟ لا تضيعوا أفريقيا كما ضاعت الأندلس

١٤-للعقلاء فقط ١-٢

١٥-قادم من بكين والإسلام بخير

١٦-وكشفت أزمة الخليج عوراتنا

١٧-نظرات علمية حول غزو الفضاء

١٨-الأطباق الطائرة حقيقة أم خيال

١٩-أقمار الفضاء غزو جديد

٢٠-الجيولوجيا الاقتصادية

٢١-وداعاً هالي

يصدر قريباً للمؤلف

١- علموا أولادكم محبة صحابة رسول الله ﷺ

٢- قضايا تعليمية

٣- الأقليات المسلمة في العالم .. واسلاماه

٤- روسيا والمسلمون ومحنة الانفتاح الجديد

٥- الخليفة الخامس

٦- THE MEANING OF ISLAM

* * * *


قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى


وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله